رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢١

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد الحادي والعشرون

١٥ / ربيع الآخر / ١٤٢٠هـ

في هذا العدد

كل بدعة ضلالة	العلامة المحدث محمد ناصر الدين الالباني
الفتـــاوي	الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز
رأي آخر في خطبة الجمعة	الشيخ سعد الحصين
مواقف أهل البيت من الرافضة	الدكتور إبراهيم الرحيلي
قواعد تأهيل الفرد المسلم للعلم الشرعي	الدكتور صالح بن غانم السدلان
الفرق بين الجهاد والخروج	الدكتور عثمان معلم الصوملي
من ضلالات الغماري	عمـــر الأحـــمر

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢١

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة: العدد الواحد والعشرون

١٥ / ربيع الآخر / ١٤٢٠هـ

أسرة التحرير

الشيخ سليم بن عيد الهلالي / رئيساً

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر / عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري / عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان / عضواً

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات

☐ فاتحة القول: الاستقامة على الطريقة... ومن لها؟

التحرير ٥

☐ تأملات قرآنية: التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

الشيخ فتحي عبد الله سلطان ٧

☐ الكلم الطيب: الراحمون يرحمهم الرحمن

الشيخ الدكتور محمد بن موسى بن نصر ١٣

☐ مباحث عقيدية: مواقف أهل البيت من الرافضة ومن عقيدتهم

الشيخ الدكتور إبراهيم الرحيلي ١٧

☐ كلمات في الدعوة والمنهاج: ضوابط الهجر الشرعي

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ٢٥

☐ تحقيقات: أسماء المؤلفات والتحقيقات للعلامة الألباني

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ ٣٣

☐ تزكية النفوس: قواعد تأهّل الفرد المسلم للعلم الشرعي

الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان..... ٤٠

☐ السياسة الشرعية: الفرق بين الجهاد في سبيل الله والخروج على الحكام

الشيخ الدكتور عثمان معلم محمود الصوملي ٤٣

☐ واحة الشعر: خير الدين وانلي

الحقيقة ٥١

☐ الكتب تعريفاً ونقداً: من ضلالات الغماري في تعليقه على «التمهيد»

عمر الأحمد ٥٣

☐ تراثيات: عالم المغرب: القاضي عياض وكتابه «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٥٩

المحتويات

☐ حق المنبر: رأي آخر في خطبة الجمعة

الشيخ سعد الحصيّن ٦٥

☐ حوار العلماء: نعم.. غرباء الزمان والمكان.. ولكن طوبى لهم

الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره ٦٩

☐ فتاوى: كل بدعة ضلالة

العلامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني ٧٣

☐ فتاوى: من فتاوى الشيخ بن باز

الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ٧٨

☐ تحذير وبيان:

التحرير ٨٠

☐ مسك الختام: العاقبة للمتّقين

التحرير ٨٥

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

التحرير

الاستقامةُ على الطريقةِ... من لها؟

داعي الله على بصيرة يرى عين اليقين أن الطريقة القرآنية السُّنِّيَّة علمية وعملية وشمولية وعدلية ؛ علمية في منهجها ، عملية في سيرها ، شمولية في دلائلها ، عدلية في حكمها وقضائها .

ومع ذلك فهي قائمة على التوحيد الخالص ، ومحض المتابعة للوحيين : الكتاب والسنة الصحيحة ، والتزام فهم السلف ـ رضي الله عنهم ـ .

وورثت دعوة الرسل ـ صلى الله عليهم وسلم ـ ، وطريقتهم في مقاصد ضرورية ، ومطالب شرعية ، فكان التعريف بالله تعالى أصلها ورأسها ، وتبيين السبيل الموصل إليه شرعتها ومنهاجها ، والتذكير باليوم الآخر وعدها ووعيدها .

فالسائر عليها ومعها وبها يتنزّل في منازلها ، ويسعى لتكميل مراتبها حتى يكون عبداً لله تعالى ؛ يُخلص عمله له ، ويصون عبادته من قوادحها وشوائبها ، ويستقيم على الأمر فعلاً ، وعلى النهي تركاً ؛ فَيُحْكِمُ مُحْكَمَها ، ويلتزم بأحكامها ، ويتدبر حكمتها ، لا يلتفت عنها يمنة ولا يسرة ، يتذكر دائماً قول الله تعالى : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوا﴾ .

ولذلك ؛ فالنفس المطمئنة المفتقرة إلى ربها ، الناظرة في أحوالها ، المطمئنة بإيمانها تعلم أنه لا سبيل لسعادتها وانشراحها إلا بعلم من هذه الطريقة ترفع به جهلها ، وبعدل منها ترفع به ظلمها ، وإلا فهي ظلومة جهولة ﴿وحَمَلَها الإِنْسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ .

. . . نعم إنها طريقة المؤمنين الكُمَّل ، ومسلك المحسنين الخُلَّص . . . إنهم السلف الصالح الذين حملوا نصوص الكتاب والسنة علماً وعملاً ، سلوكاً وتربية . . . وكان علمهم بمقتضى هذه الطريقة ليس منكبّاً على أنفسهم لأنهم زُكُّوا من حب أنفسهم لأنفسهم ؛ ففاض خيراً على غيرهم ، فقاموا بهذه الطريقة

دعوة وولاء واستعلاء .

إذن ؛ فحاجة الأمة الواعية المختارة إليها حاجة ضرورية فوق كل حاجة تستجلب بها عملاً مفقوداً ، وتحفظ بها منهجاً موجوداً ، وتحقق بها أملاً منشوداً ، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه ، وجهله من جهله ، ووالاه من والاه ، وعاداه من عاداه ؛ سواء استعجل فيه أهل الحق أو استبطؤوا فإن جولة الحق آتية ، وصولة الإيمان نافذة ، والمآل الحسن والعاقبة الحميدة لأهل هذه الطريقة السديدة ، الذين استقاموا عليها بمحض توحيدهم لربهم ، وحسن متابعتهم لنبيهم ﷺ ، وملازمتهم للتقوى في سرهم وعلانيتهم ؛ فنالوا بذلك سعادة الدارين ، يقول الله تعالى : **﴿وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيْقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقَاً﴾** .

فالواجب منهم هو الولاء التام والحب المطلق لها ولأهلها وللسائرين المرابطين على ثغورها .

فيعلم أهلها أن ولاءهم لها شرط في استقامتهم ، وأن استقامتهم دليل على ولائهم ؛ فيجمعون بين الاستقامة عليها ، والولاء التام لها ولأهلها .

والكثير ـ في يومنا هذا ـ لا يعطون ولاءهم لهذه الطريقة القرآنية السنية السلفية إلا بالقدر الذي هم يريدون ، ذلكم أن هذا الولاء والحب يتصادم مع مصالحهم وأهدافهم . . . فموانع الولاء عند هؤلاء كثيرة وكثيرة جداً ؛ منها ما هو ظاهر ، ومنها ما هو باطن تحت عناوين خطيرة ؛ تارة تكون باسم «الاحتواء» ، وأخرى بعنوان «المصلحة» ، وطوراً بزعم : «ترشيد الصحوة» ، وأخيراً بدعوى : «تجذير الدعوة» . . . وهم مع ذلك كله يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب حتى إذا حقق أحدهم مراده ، وبلغ مرامه ؛ كشر عن أنيابه ؛ فسقط المنهج من نواجذه ، فصال وجال ، وقعقع وفرقع ، وأزبد وأرعد ، لينال من الطريقة وأهلها!

ولكن هيهات هيهات . . . فمن حفظه الله لا ضيعة عليه ، ومن دافع الله عنه فلا حزن ولا خوف عليه .

﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَاً﴾ .

الحلقة الثانية

بقلم الشيخ فتحي عبد الله سلطان

التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

المقصودُ من قومتِهم توحيدُ الإلهية:

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره» (١٥/٥) : «فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية ، ولهذا قالوا : ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَهاً﴾ . . . فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ، والتزام ذلك وبيان أنه الحقّ ، وما سواه الباطل» .

فوافقوا بذلك منهج الرسل وسيلة ومقصداً ، فطريقتهم في الاستدلال هي من جنس استدلال الرسل ، ومقصودهم هو أيضاً من جنس مقصود الرسل في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ

وتأكيداً لهذا المقصود نفوا دعاء غير الله نفياً مؤبداً لأنهم علموا أن أخص شيء في توحيد الإلهية هو إفراد الله ـ تعالى ـ بالدعاء قولاً وقصداً وعملاً . . .

فهم آثروا المعنى الخاص للعبادة على معناها العام ، فالدعاء أخص العبادة ؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «الدُّعاء هو العبادة» .

وهم في هذا المقام نزلوا منزلة الإحسان لمّا تذوّقوا حلاوة المناجاة لربّ العالمين ، وذوقهم هذا ما هو إلا ثمرة التعبد بالأسماء والصفات وأثرها في الخلق والأمر ؛ فهم استحضروا اسم الله (الرقيب) لما في هذا الاسم من المعاني المقتضية للعلم والعمل .

الإحسان في توحيد الله:

إن إيثار الدعاء على المعنى الجامع للعبادة من موجبه ذوق حلاوة المناجاة باستحضار معنى القرب والمعيّة كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

وإحسانهم هذا أثمر لهم استقامة على طريق الهداية ، فما كان منهم إلا أن التفتوا إلى قومهم دعوة ونصحاً لهم .

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ :

أي : قولاً مائلاً عن الحقّ إلى الباطل ،

فهو من : شطّ الشيء ؛ إذا طفح ومال ، وهذا القول منهم هو من كمالِ إخلاصهم ـ لله تعالى ـ ، وتجريدهم التوحيد من العلائق والشوائب والحجب .

فهم قدحوا في حظوظ أنفسهم ابتداء ، وردّوا كل قول مضاد للتوحيد حتى لو كان قولاً صادراً منهم ، ذلكم أنّ الإحسان في توحيد الله تعالى قولاً وعملاً وقصداً لا يكون إلا إذا :

● استحضر العبد أسماء الله -تعالى- علماً وعملاً ، وفقه معناها وأثرها في العالمين العُلوي والسفلي ، وهذا من باب تحقيق توحيد الإلهية بطريقة التعبد بالأسماء والصفات ، ويا له من باب عالي المطالب رفيع المقاصد .

●صيانة الظاهر والباطن من الاعتراض على الحكم الشرعي الديني أو القدري الكوني[1] .

● القدح في حظوظ النفس وعلائقها .

فهؤلاء الفتية لما قالوا : ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ شَطَطاً﴾ فهم استحضروا موجبات الدعاء من الأسماء والصفات أولاً .

وقدحوا في حظ أنفسهم ، وجرّدوا ظاهرهم وباطنهم من الاعتراض على حكم الله الكوني والشرعي ثانياً ، فتأمّل .

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُوْنَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾ :

لما فقهوا عقيدتهم وذكروا ما منّ الله به عليهم من الإيمان والهدى والتقوى التفتوا إلى ما كان عليه قومهم ، وبدأوا بواقعهم

قدح (أهل الكهف) في حظوظ أنفسهم ابتداء، وردّوا كل قول مضاد للتوحيد حتى لو كان قولاً صادراً منهم، ذلكم أنّ الإحسان في توحيد الله تعالى.قولاً وعملاً وقصداً لا يكون إلا إذا:

*** استحضر العبد أسماء الله تعالى.علماً وعملاً وفقه معناها وأثرها في العالمين العُلوي والسفلي، وهذا من باب تحقيق توحيد الإلهية بطريقة التعبد بالأسماء والصفات، ويا له من باب عالي المطالب رفيع المقاصد.**

يصفونه وصفاً دلّ على فقههم بأحوال هذا الواقع لا كدعاة اليوم الذين جعلوا الدعوة إلى توحيد اللّه آخر الأمر ، هذا إن كان ثمّة دعوة إليه بنتيجة الأمر!!

فأول أمر أدركه هؤلاء الفتية في واقع قومهم هو ما عليه قومهم من الشرك وفساد العقيدة ، وهذا بحدّ ذاته أمر يستدعي الاهتمام واستفراغ الجهد في إبطاله وإزالته .

والآية صدّرت قولهم بـ ﴿هؤلاء﴾ لما في تقديم اسم الإشارة في هذا الموضع من التحقير لقومهم بما هم عليه من الشرك باللّه وفساد المعتقد .

وهذا التحقير لقومهم كان من فقههم للواقع فقهاً مستنداً على ضرورة اعتماد التوحيد أساساً في التقييم ؛ فقدّموا أولاً الشرك وأنه الخطر الأول في واقع عصرهم آنذاك وما يترتب عليه من موجبات الهلاك ومقتضيات الدمار .

وهؤلاء الفتية قد أوتوا قوة علمية في جدل خصومهم ويقيناً يعضده ؛ لذا قالوا : ﴿لَوْلاَ يَأْتُوْنَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾ .

﴿لولا﴾ : حرف تحضيض ؛ أي : حث المقابل على الإتيان بالسلطان المبين والدليل الظاهر مع علمهم بعجز قومهم عن الإتيان به ، وهذا راجع إلى اليقين وقوة الأدلة المتحصّلة عندهم من جهة الإيمان مع ضعف ما عند خصومهم من الأدلة .

والآية : «دليل على فساد التقليد ، وتأكيد بأن إقامة الحجة على إلهية غير الله وتأثيره ووجوده محال»[٢] .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ .

أي : لا أحد أظلم ممن افترى على اللّه الكذب بادعاء أنّ له شريكاً كما افتراه عليه قومهم أصحاب الكهف[٣] .

وكان صدور الحكم منهم على قومهم وقع بعد إقامة الحجة عليهم ، ومطالبتهم وحثّهم على الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين .

وكان إصدار الحكم على عسكر الشرك بعد إقامة الحجة وبعد أن استيأسوا منهم إجابةً لمنادي الإيمان هو العدل الذي دلت عليه مقاصد الرسل .

حينذاك أعلن عسكر الشرك المخذول عداءه وشنّ حربه على أهل التوحيد ، فلا سبيل ساعتئذ إلا الالتجاء إلى الله -تعالى- والفرار إليه : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِيْنٌ﴾ ، ولهذا لم

يكن لهم من سبيل إلا الاعتزال .

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً﴾ .

حتى كُرمت هذه الفئة بنصر الله ، وهو نجاة الطائفة المؤمنة وانتصارها ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ؛ فكان دفاع الله ـ تعالى ـ عنها على أرض الواقع بإجراء قانونَي الدفع والمدافعة لصالحها ، وتعطيل السنن الكونية لنفعها .

و ﴿إذ﴾ في الآية : للتعليل ؛ كما رجح ذلك الشنقيطي في «أضواء البيان» ؛ أي : ولأجل اعتزالكم قومكم ؛ فأووا إلى الكهف ، وهذا يدل على أن اعتزالهم الكفار هو من أسباب لطف الله ورحمته بهم ، وبموجب ذلك يكون التجاؤهم إلى الكهف ليس هرباً من الخلق بل نصر وتكرمة لهم ، وهو من جنس الإنابة والفرار إلى الله ؛ كما قال -تعالى- في التجاء النّبي ﷺ وصاحبه إلى الغار بأنه نصر : ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية .

تنبيه:

ذكر أهل التفسير في الاستثناء الوارد في الآية : ﴿إِلاَّ اللّه﴾ وجهين :

الأول : أنه منقطع .

والثاني : متصل .

ورجح القرطبي الأول ، والأظهر في الترجيح هو الثاني ؛ كما رجّح ذلك الشنقيطي ، وحمله على ذلك أظهر لأمرين :

الأول : الوارد في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (وَمَا يَعْبُدُوْنَ منْ دونِ اللّه) قال قتادة : هذا تفسيرها ، ولا يخفى على أهل العلم ما لمرويّات التفسير من أثر في ترجيح معنى الآية .

الثاني : أنّ الترجيح المذكور ينسجم مع مقاصد القرآن الضرورية من جهة أنّ المشركين كانوا يقرّون بالخالق ، ولكن أشركوا في توحيد العبادة ، وعليه يكون معنى الآية : وإذ اعتزلتموهم وما يشركون في عبادة الله تعالى ؛ أي : كانوا يعبدون الله والأصنام .

رعاية الله تعالى للفارين إليه :

ثم كانت الرعاية لهم : ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُم

مِرْفَقاً﴾ :

وهذه الرعاية هي ثمرة اعتزالهم للشرك وأهله ، فكل من يعتزل المشركين ويتبرأ من شركهم ويفرّ إلى الله فرار الموحّدين يَجعل له :

١ ـ هبة دينية ودنيوية من رحمة الله ـ تعالى ـ .

٢ ـ الهداية إلى سبل الرشاد والخير والعافية

٣ ـ ثناء حسن يعلو على كل ثناء .

وفي ذلك يقول الله -تعالى- :﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَكُلاً جَعَلْنا نَبِيّاً وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾ .

فاجتمعت لهؤلاء الفتية هذه الثمار تكرمة الله -تعالى- لهم على توحيدهم وجهادهم وعزلتهم ، وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (١٦/٥) : «فحفظ أديانهم وأبدانهم ، وجعلهم من آياته على خلقه ، ونشر لهم من الثناء الحسن ما هو من رحمته بهم ، ويسّر لهم كل سبب حتى المحلّ الذي ناموا فيه ، كان على غاية ما يمكن من الصيانة» أهـ .

> وكان حصول صدور الحكم منهم على قومهم بعد إقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم وحثّهم على الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين.
>
> وكان إصدار الحكم على عسكر الشرك بعد إقامة الحجة وبعد أن استيأسوا منهم إجابةً لمنادي الإيمان هو العدل الذي دلت عليه مقاصد

نعم ؛ اجتمعت لهم خصال محمودة وعطايا ممدوحة : صيانة المحل ، ورعاية الحال ، وحفظ الاعتقاد .

فائدة:

لقد كرّم الله -تعالى- أصحاب الكهف بما هَيَّأ لهم من الأسباب الكونية والشرعية في حفظهم وتثبيتهم وتمكينهم حتى إنّ كثيراً من السنن الكونية آنذاك عُطلت تحقيقاً لذلك ، وليس هذا التعطيل والتأثير مقصوداً لذاته ؛ أي : لمجرّد التأثير الكوني في خرق العادة ، بل تعدّاه إلى مقاصد دينية أخرى ؛ فالخرق للأحوال الكونيّة والسنن القدرية إنّما يأتي تابعاً للمقصود الديني الشرعي ؛ فالخرق في الكونيّات لا ينفع إذا لم يكن حادثاً للدين تابعاً له .

فالذي حصل للفتية في كهفهم من

الآيات الدالة على عظمة الله -تعالى- سواء السماوية منها أو الأرضية ؛ إنما لتكميل عبوديّتهم ، وتثبيت قوائم دعوتهم ، وترسيخ حقائق إيمانهم ، وليكونوا آية لغيرهم ، وذكرى للناظر في أحوالهم . . . فكرّموا بمقتضى ذلك . . . بالخرقين الديني والكوني ، والثاني تابع للأول ، وهذا ظاهر في كثير من الآيات لمن تأمّل :

﴿فَأْوُوْا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّىء لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُم مِرْفَقاً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ذلكَ مِنْ آيَاتِ اللَّه مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُم﴾ .

وقوله -تعالى- : ﴿وَكَذَلكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم لِيَعْلَمُوْا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾ .

أهم ما يرشد إليه النصّ:

١ ـ قصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة .

٢ ـ تحقيق التوحيد قولاً وعملاً ودعوة وحالاً واستدلالاً شرطٌ في الولاية الشرعية .

٣ ـ تلقّي القصص من الوحي من موجبه تحصيل اليقين المثمر للعمل والانقياد .

٤ ـ هؤلاء الفتية لما آثروا أصل الإيمان شكر الله -تعالى- إيمانهم ؛ فزادهم من الهدى المتضمّن للعلم النافع والعمل الصالح .

٥ ـ ذكر الربوبية مع الإيمان هو من باب قرن الإلهية بالربوبية كما هو الغالب في السياقات القرآنية .

٦ ـ كان إيثار الهدى في الآية من باب تكميل القوة العملية وتهذيبها ، والاعتناء بالتزكية .

٧ ـ كل من يجاهد في ذات الله توحيداً وإيماناً لا بدّ وأن يُهدى إلى سبل الهداية وشرائع الإيمان .

٨ ـ طريقة تحصيل الإيمان بمقتضى العلوم الفطرية المسلّمة من المعارض ، فضلاً عن طريقة الاستجابة إلى الوحي ، هي أكمل طريقة .

٩ ـ هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرّقت في غيرهم ؛ فنالوا بمقتضى ذلك وصف الإمامة في الدين .

لقد كرّم الله -تعالى- أصحاب الكهف بما هَيّأ لهم من الأسباب الكونية والشرعية في حفظهم وتثبيتهم وتمكينهم حتى إنّ كثيراً من السنن الكونية آنذاك عُطلت تحقيقاً لذلك، وليس هذا التعطيل والتأثير مقصوداً لذاته؛ أي: لمجرّد التأثير الكوني في خرق العادة، بل تعدّاه إلى مقاصد دينية أخرى؛ فالخرق للأحوال الكونيّة والسنن القدرية: إنّما يأتي تابعاً للمقصود الديني الشرعي؛ فالخرق في الكونيّات لا ينفع إذا لم يكن حادثاً للدين تابعاً له.

١٠ ـ كانت لهؤلاء الفتية أعمال قلبية أثمرت ذوق حلاوة الإيمان، من أخصّها محبّة اللّه تعالى، وإيثار المقصود على سواه.

١١ ـ لما وجدوا حلاوة الإيمان أثمر وجدانُهم تعريفاً ودعوةً إلى التوحيد، وقياماً في ذات الله -تعالى-.

١٢ ـ قد يفرغ القلب من أمور توجب انتقاص الإيمان بحسبها كالإنابة والخشية والتصدّع واليقين؛ حينئذٍ يربط على القلب برباط التوفيق حتى لا يخذل.

١٣ ـ صاحب الهمّة العالية اتصلت همته باللّه -تعالى- طلباً وقصداً واتصلت بخلقه دعوة ونصحاً، فوحّدت مطلوبها بالإخلاص، وطلبها بالصدق، وطريقها بالمتابعة.

١٤ ـ أول ما يجب من مطالب الرسل الضرورية مطلب التعريف بالله -تعالى- ربّاً ومعبوداً وبأسمائه وصفاته، وعلى هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة الأخرى.

١٥ ـ كان استدلال الفتية استدلالاً فطرياً تامّاً من جنس استدلال الرسل؛ فهم استدلّوا بالله -تعالى- على خلقه، لا بخلقه عليه.

١٦ ـ كان المقصود من قومتهم هو توحيد الإلهية؛ فوافقوا منهج الرسل وسيلة ومقصداً واستدلالاً.

١٧ ـ من ثمرة عملهم بالتوحيد أنهم علموا أنّ أخصّ شيء في توحيد العبادة هو إفراد الله -تعالى- بالدعاء قولاً وقصداً

وعملاً.

١٨ ـ على قدر التعبد بالأسماء والصفات ، والعلم بأثرها في الخلق والأمر يتذوق العبد حلاوة المناجاة لربّ العالمين ، وينزل في منازل المحسنين.

١٩ ـ إذا لم يقدح العبد في حظ نفسه ويجرد ظاهره وباطنه من الاعتراض ؛ كان موجب ذلك انتقاص الإيمان بحسبه.

٢٠ ـ لما بدأ الفتية بواقعهم يصفونه ، ويشخصون خطورة الشرك في قومهم دلّ ذلك على فقههم بأحوال هذا الواقع لا كدعاة اليوم الذين جعلوا الدعوة إلى توحيد الله تعالى آخر الأمر .

٢١ ـ هؤلاء الفتية قد أوتوا قوة علمية في جدل خصومهم ويقيناً يعضده ؛ فأعجزوا قومهم عن الإيتاء بالسلطان البيّن ، والدليل الظاهر.

٢٢ ـ من العدل الواجب الذي دلت عليه مقاصد الرسل هو تأخير إصدار الحكم على المشركين حتى تقام الحجة الرسالية عليهم ، وبعد الاستيئاس من إجابتهم لمنادي الإيمان.

٢٣ ـ إذا أعلن عسكر الشرك المخذول عداءه وحربه على أهل التوحيد ، فلا سبيل حينئذٍ إلا الالتجاء إلى الله -تعالى- ، والفرار إليه ، والأخذ بأسباب الثبات والنصر.

٢٤ ـ كان من دفع الله -تعالى- عن أصحاب الفئة المؤمنة على أرض الواقع أن أجرى قانونَي الدفع والمدافعة لصالحها ، وعطّل السنن الكونية لنفعها.

٢٥ ـ التجاء الفتية إلى الكهف لم يكن هرباً من الخلق بل التجاء ونصر وتمكين ، وهو من جنس الإنابة إلى الله -تعالى- ، والفرار إليه.

٢٦ ـ اجتمعت لهؤلاء الفتية خصال محمودة وعطايا ممدوحة ، فصان الله -تعالى- محلّهم ، ورعى حالهم ، وحفظ اعتقادهم .

٢٧ـ ما حصل للفتية في كهفهم من العجائب والتأثير في السنن الكونية العلوية والسفلية إنّما هو لتكميل المقصود الديني ، والخوارق تابعة للدين حادثة له[٥] .

الحواشي :

(١) انظر موضوع الإعراض في «مدارج السالكين» (٢/٦٩-٧٠).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١١/١٣).

(٣) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/٣٢).

(٤) في الآية دليلٌ على أن من مقاصد الخرق والتأثير الكوني حصول فائدة مطلوبة من العباد ، وهي : العلم بالكلمات الشرعية ، والعمل بمقتضاها ، فالله -تعالى- بعثهم ، ليتساءلوا ، وليبحثوا ، ويتعلّموا حقائق الأشياء.

(٥) انظر كلام شيخ الإسلام في الخوارق (١١/٣١٩ وما بعدها) «مجموع الفتاوى»

بقلم : الشيخ الدكتور محمد بن موسى بن نصر

الراحمون يرحمهم الرحمن

قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : تقبلون أبناءكم ، والله إن عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فقال النبي ﷺ : «من لا يرحم لا يُرحم» .

إن الرحمة في ديننا شملت الدنيا والآخرة والإنسان والحيوان والطير والبيئة .

قال ـ تعالى ـ : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وقد وصف الله ـ تعالى ـ نفسه بالرحمة ، ووصف بها أنبياءه وعباده الصالحين .

قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّه وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .

ولقد جعل الله بعثة النبي ﷺ رحمة للعالمين ، قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ .

ولفظ (العالمين) عام يشمل عالم الإنس والجن والحيوان ، والطير ، وأم البر ، وأم البحار .

ولقد أمر الله بالرحمة في كل شيء ، وعند كل عمل ؛ فأنت تذبح ذبيحتك ترحمها بالتسمية ، وشحذ المدية ، قال ﷺ : «إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وإذا قتلتم فأحسنوا القِتل وليحدّ أحدكم شفرته وَلْيُرِحْ ذبيحته» .

ولقد غفر الله لإحدى بغايا اليهود لرحمتها لكلب كاد يقتله العطش حيث ملأت موقها بالماء ؛ فأمسكت بفي الكلب فسقته ، فشكر الله لها صنيعها وغفر لها .

وهذا نبينا ﷺ يرى بعض الصحابة قد أخذ فراخ قُبّرة ، وهي تصيح فوق رؤوس الصحابة فقال : «من فجع هذه بولدها ردّوا إليها أولادها؟!» .

وكلما كان الإنسان ضعيفاً فقيراً كان توجُّه الرحمة إليه أكثر ، وكان الرفق به

أوجب ، لذلك نهى ربنا عن زجر اليتيم والإساءة إليه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ . وأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ .

وقال ﷺ : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» .

وكان ﷺ يمسح على رأس اليتيم ويقول : «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى» .

وأمر بالعناية بالأطفال والنساء والشيوخ فقال وهو يودع أصحابه وأمته : «الصلاة وما ملكت أيمانكم» . «استوصوا بالنساء خيراً» وقال : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

إن الرحمة أمر فطري أودعه الله في قلوب مخلوقاته حتى السباع الضارية منها فهي ترحم أولادها والله أرحم بخلقه من الأم بولدها ، ولذلك خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أودع عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ، وأنزل إلى الأرض رحمة واحدةً يتقاسمها الإنسان والحيوان .

ولقد ذم رسو الله ﷺ من تجرّد من الرحمة ولم ينل نصيباً وافراً منها ، لذلك زجر قاطعي الأرحام فقال ﷺ : «الرحم معلقة بالعرش تقول : من قطعني فاقطعه ، ومن وصلني فصله» .

وفي رواية : إن الرحم تتعلق بعرش الرحمن يوم القيامة تقول : هذا مقام العائذ بك من القطيعة فيقول لها الله : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك فتقول : رضيت ربِّ» .

وذم الحكام الظلمة الذين لا يرحمون شعوبهم فقال : «إنَّ شرَّ الرِّعاء الحُطَمة» .

ولقد سمّى الله نفسه الرحمن الرحيم فهو رحمن الدنيا والآخرة ، وهو واهب الرحمات ، ولذلك أمر بها في كل مقام وحال ، والمسلم يبدأ عمله بتسمية الله الرحمن الرحيم ليبارك له في عمله ، فكل عمل يخلو من الرحمة لا بركة فيه ولا خير فيه ، ورحمة العباد بعضهم بعضاً سبب لنزول رحمة الله عليهم .

قال ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .

اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض ، واجعلنا رحماء بيننا كما كان أصحاب نبيك ، وارحم موتانا ، وولِّ علينا أهل الرحمة من عبادك يا رحمن يا رحيم .

* * *

بقلم الشيخ الدكتور إبراهيم الرحيلي

مواقف أهل البيت من الرافضة ومن عقيدتهم

أئمة أهل بيت النبي ﷺ كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم ، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة ، وبعدهم عن الحق وهم من أشد الناس ذماً ومقتاً لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم ، وكثرة كذبهم عليهم ، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم .

فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة :

ما ثبت عن علي رضي الله عنه وتواتر عنه أنه قال ـ وهو على منبر الكوفة ـ : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما[1] .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري[2] .

وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه : ما خلفت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله ﷺ يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[3] .

وهذه الآثار الثابتة عن علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الرافضة في الشيخين رضي الله عنهم وتدل على براءة علي رضي الله عنه من الرافضة ومن عقيدتهم ، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي ﷺ ، وحبه لهم ، وإقراره للشيخين بالفضل عليه ، وعقوبته من فضله عليهما ، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر . فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي ﷺ الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الرافضة والخوارج المارقين .

ثم من بعد علي رضي الله عنه جاءت

أقوال أبنائه ، وأهل بيته ، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم ، وانتصارهم لعقيدة أهل السنة .

وإليك طرفاً من أقوالهم في ذلك :

قول الحسن بن علي رضي الله عنهما :

عن عمرو بن الأصم ؛ قال : قلت للحسن : إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ؛ قال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله[٤] .

وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ، قال : كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، فتركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء أمة محمد ﷺ[٥] .

قول الحسين بن علي رضي الله عنهما :

كان يقول في شيعة العراق ـ الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه ـ : اللهم إن أهل العراق غروني وخدعوني ، وصنعوا بأخي ما صنعوا ، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عدداً[٦] .

ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه هو وعامة من كان معه من أهل بيته ، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة . فكان مقتله رضي الله عنه مصيبة عظيمة ، ومأساة جسيمة ، يتفطر لها قلب كل مسلم . تولى كبرها هؤلاء الشيعة الذين يظهرون اليوم تحسرهم وندمهم على مقتل الحسين بإقامة تلك المآتم المبتدعة في يوم عاشوراء من كل سنة ؛ فقبحهم الله ما أكذب دعواهم في ولاية أهل البيت ، وأعظم غدرهم وخذلانهم لهم!!

قول علي بن الحسين رحمه الله :

ثبت عنه أنه قال : يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً[٧] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه جاءه نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، فلما فرغوا ؛ قال لهم : ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من

قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه أولئك هم المفلحون؟ قالوا : لا . قال : أشهد أنكم لستم من الذي قال الله عز وجل : ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[٨] ، اخرجوا فعل الله بكم[٩]!!

قول محمد بن علي (الباقر) :

عن محمد بن علي أنه قال : أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول[١٠] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال لجابر الجعفي : إن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأخبرهم : أني أبرأ إلى الله تعالى منهم ، والله بريء منهم ، والذي نفس محمد بيده لو وليت ، لتقربت إلى الله بدمائهم . لا نالتني شفاعة محمد ، إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله غافلون عنهما[١١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كانت الشيعة المتقدمون، الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر.

وعن بسام الصيرفي قال : سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال : والله إني لأتولاهما ، وأستغفر لهما ، وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاهما[١٢] .

قول زيد بن علي -رحمه الله- :

عن زيد بن علي أنه قال : كان أبو بكر إمام الشاكرين ثم تلا ﴿**وسيجزي الله الشاكرين**﴾[١٣] ، ثم قال : البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي[١٤] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال : البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي رضي الله عنهم ؛ فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر[١٥] .

قول جعفر بن محمد (الصادق) :

عن عبدالجبار بن عباس الهمداني : أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة ، فقال : إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوهم عني : من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة ؛ فأنا منه بريء ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر ؛ فأنا منه بريء[١٦] .

وعن سالم بن أبي حفصة ؛ قال : سألت أبا جعفر وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر فقال : يا سالم! تولهما وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر : يا سالم! أيسب رجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[١٧] .

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول : ما أرجو من شفاعة علي شيئاً ، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، لقد ولدني مرتين[١٨] [١٩] .

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال : إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة .

وعنه أنه قال : برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[٢٠] .

قال الذهبي معقباً على هذا الأثر : قلت هذا القول متواتر عن جعفر الصادق ، وأشهد بالله إنه لبار في قوله ، غير منافق لأحد ، فقبح الله الرافضة[٢١] .

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت ، الطيبين ، الطاهرين ، الذين تدعي الرافضة إمامتهم وولايتهم ، وينسبون إليهم عقيدتهم ، جاءت موضحة ومبينة موقفهم من الرافضة ، ومن دينهم وبراءتهم منهم ومن كل ما يلصقونه بهم من عقائدهم المكفرة ، ومطاعنهم على خيار الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة ، ظاهراً وباطناً ، في كل كبير وصغير ، فهي عقيدتهم التي بها يدينون ، وعليها يوالون ويعادون ، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة ، وقبح الله الرافضة ما أعظم فريتهم عليهم وأشد أذيتهم لهم .

ثانياً : أقوال المنسوبين للتشيع[٢٢] من

الأئمة المتقدمين :

روى اللالكائي عن ليث بن أبي سليم ؛ قال : أدركت الشيعة الأولى ما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً[٢٣] .

وعن سلمة بن كهيل أنه قال : جالست المسيب بن نجبة الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة ، وناساً من الشيعة كثيراً ، فما سمعت أحداً منهم تكلم في أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ، وما كان الكلام إلا في علي وعثمان[٢٤] . [٢٥] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ولهذا كانت الشيعة المتقدمون ، الذين صحبوا علياً ، أو كانوا في ذلك الزمان ، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان ،

هذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين، الطاهرين، الذين تدعي الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم، جاءت موضحة ومبينة موقفهم من الرافضة، ومن دينهم وبراءتهم منهم ومن كل ما يلصقونه بهم من عقائدهم المكفرة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة أهل السنة، ظاهراً وباطناً، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، وعليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم.

وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر[٢٦].

وروى اللالكائي عن إبراهيم بن أعين قال: قلت لشريك[٢٧]: أرأيت من قال: لا أفضل أحداً، قال: هذا أحمق أليس قد فضل أبو بكر وعمر[٢٨]؟

وعن سليمان بن أبي شيخ؛ قال: لقي عبدالله بن مصعب الزبيري شريكاً فقال: بلغني أنك تنال من أبي بكر وعمر؟ فقال شريك: والله ما أنتقص الزبير، فكيف أنال من أبي بكر وعمر[٢٩]!!

وعن حفص بن غياث؛ قال: سمعت شريكاً يقول: قبض النبي ﷺ واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشُّونا، ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل؛ فلما حضرته الوفاة جعل الأمر شورى بين ستة فاجتمعوا على عثمان، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا[٣٠].

قال علي بن خشرم: فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث أنه عرض هذا على عبدالله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعت هذا من حفص؟ قلت: نعم. قال: الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه، فوالله إنه لشيعي، وإن كان شريكاً لشيعي[٣١].

قال الذهبي معقباً: قلت: هذا التشيع الذي لا محذور فيه - إن شاء الله - إلا من قبيل الكلام فيمن حارب علياً رضي الله عنه من الصحابة، فإنه قبيح يؤدب فاعله...[٣٢].

وعن سلمة بن شبيب قال: سمعت عبدالرزاق[٣٣] يقول: ما انشرح صدري قط أن أفضل علياً على أبي بكر - فرحمهما الله - ورحم الله عثمان وعلياً، من لم يحبهم فما هو بمؤمن أوثق عملي حبي إياهم[٣٤].

وعن عبدالرزاق أيضاً أنه قال: أفضل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه، كفى بي إزراء أن أخالف علياً رضي الله عنه[٣٥].

وروى اللالكائي عن أبي السائب عتبة بن عبدالله الهمداني قال: كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان... وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح، من الفاحشة. فقال: يا غلام! اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله

هذا رجل طعن على النبي ﷺ ، قال الله عز وجل : ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾[٣٦] ، فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث ، فهو كافر اضربوا عنقه . فضربوا عنقه وأنا حاضر[٣٧] .

الحواشي :

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٦/١ ، وابن أبي عاصم في السنة ص٥٥٦ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ، وأخرجه اللالكائي ١٣٦٦/٧ - ١٣٩٧ ، ورواه أبو نعيم في كتاب الإمامة ص٢٤٣ ، ومحمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٣ ، وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص٢٩٦ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن حديثه عن براءة علي رضي الله عنه من الرافضة : وقد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر . وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية . فيما رواه البخاري في صحيحه منهاج السنة ١١/١ - ١٢ ، وانظر الأثر في البخاري (كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً) . فتح الباري ٢٠/٧ ح٣٦٧١ .

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٥٦٢/٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ص٥٦١ ، وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص٢٩٨ .

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب) فتح الباري ٤١/٧ ، ح٣٦٨٥ ، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه) ١٨٥٨/٤ ، ح٢٣٨٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٤٨/١ ، وفي فضائل الصحابة ١٧٥/٢ ، وأورده الذهبي في السير ٢٦٣/٣ .

(٥) حلية الأولياء ٣٧/٢ .

(٦) أورده الذهبي في السير ٣٠٢/٣

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٣٩٨ ، وأورده أبو نعيم في الحلية ١٣٧/٣ ، والذهبي في السير٣٩٠/٤ .

(٨) سورة الحشر آية ١٠ .

(٩) أورده أبو نعيم في الحلية ١٣٧/٣ .

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٥/١٥أ ، وأورده الذهبي في السير ٤٠٦/٤ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص٣٠٢ .

(١١) أخرجه محمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٥ ، وأورده البيهقي في كتاب الاعتقاد ص٣٦١ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص٣٠٣ .

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٢١/٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٥/١٥ب ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣٢١/٩ ، والذهبي في السير ٤٠٣/٤ ، وأبو حامد المقدسي في الرد على الرافضة ص ٣٠٤ .

(١٣) سورة آل عمران من الآية : ١٤٤ .

(١٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠٢/٧ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢٤/٦ب ، وأورده الذهبي في السير ٣٩٠/٥ .

(١٥) أخرجه محمد بن عبدالواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص٧٥ .

(١٦) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٦ .

(١٧) أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة ٥٥٨/٢ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠١/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٨/٦ .

(١٨) قال الذهبي في ترجمة جعفر بن محمد : «وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي ، وأمها هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر الصديق مرتين» . سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦ .

(١٩) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠١/١٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٩/٦ .

(٢٠) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٦ .

(٢١) سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٦ .

(٢٢) التشيع في اصطلاح العلماء المتقدمين هو : تقديم علي على عثمان ، دون التعرض للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقد تقدم في كلام الذهبي أن هذا قد وجد في التابعين وتابعيهم مع الدين ، والورع ، والصدق .

(٢٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٠٢/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٥٥/٦ .

(٢٤) أي : في المفاضلة بينهما رضي الله عنهما .

(٢٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٦٨/٧ .

(٢٦) منهاج السنة ١٣/١ .

(٢٧) هو : شريك بن عبدالله النخعي ، القاضي أبو عبدالله ، أحد الأعلام ، كانت وفاته سنة سبع وسبعين ومئة . قال عنه الذهبي : فيه تشيع خفيف على قاعدة أهل بلده . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠٠/٨ - ٢٠٢ .

(٢٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٦٩/٧ ، وأورده الذهبي في السير ٢٠٥/٨ .

(٢٩) أورده الذهبي في السير ٢٠٦/٨ .

(٣٠) المصدر نفسه ٢٠٩/٨ .

(٣١) المصدر نفسه .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) هو : عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ، أبو بكر الصنعاني . قال ابن حجر : «حافظ ، مصنف ، شهير ، عمي في آخر عمره ، وكان يتشيع» . تقريب التهذيب ص٣٥٤ .

(٣٤) أورده الذهبي في السير ٥٧٤/٩ .

(٣٥) المصدر نفسه .

(٣٦) سورة النور الآية : ٢٦ .

(٣٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٦٩/٧ .

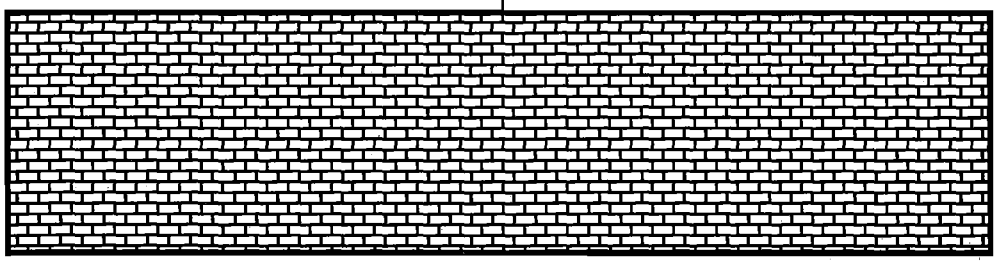

الحلقة الثانية

بقلم الشيخ أبي أسامة سليم الهلالي

ضوابط الهجر الشرعي

٢ـ أن يكون هجراً شرعياً :

ينبغي أن يكون الزجر بالهجر لأهل البدع ديانة ؛ لأنه من باب العقوبات الشرعية بل هو من جنس الجهاد في سبيل الله ، وهو دال على منزلة الإسلام ، والسنة في قلوب أتباعه .

فالهجر من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله ، ولا يكون مشروعاً إلا لحق الله لا لهوى النفس ، حظوظها ؛ فالطاعة لا بدّ أن تكون خالصة لله وموافقة لأمره ، فتكون خالصة صواباً ، ولذلك فالهجر لحقّ النفس ينقض الإخلاص ، والهجر على خلاف الأمر ينقض المتابعة .

وهجر أهل البدع المشروع على نوعين :

الأول : هجر التعزير : وهو من العقوبات الشرعية التي يوقعها المسلم على أهل الأهواء على وجه التأديب حتى يتوب المبتدع ويفيء إلى أمر الله .

قال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء : ١٤٠) .

وقال : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام : ٦٨) .

ولما كان المقصود بالهجر زجر المبتدع وتأديبه ورجوعه إلى جماعة المسلمين ؛ فإن الشرع يزن الأمور بميزان عدل فلا إفراط ولا تفريط على قاعدة رعاية المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها .

قال شيخ الإسلام : «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم ؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن

مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحتهم لم يشرع الهجر .

بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين ؛ كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم ، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون في عشائرهم ، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم ، وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنات سواهم كثير ؛ فإن في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم ، وهذا كما أن الشروع في العدو القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بسبب الأحوال والمصالح .

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل .

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ؛ كما كثرت القدر في البصرة ، والتنجيم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ما ليس كذلك ، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم ، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطريق إليه»[١٩] .

وقال رحمة الله : «وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة ؛ فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين : بين القادر والعاجز ، وبين قلة نوع الظالم والمبتدع وكثرته وقوته وضعفه ، كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من الكفر والفسوق والعصيان ، فإن كل ما حرمه الله فهو ظلم ؛ إما في حق الله فقط ، وإما في حق عباده ، وإما فيهما .

وما أمر به من هجر الترك والانتهاء وهجر العقوبة والتعزيز إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله ، وإلا فإذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة ، وإن كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة ...

فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأموراً بها ، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ

ذاك : إنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية ، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي .

وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة ، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم ، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس.

وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة ، خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله ، أو خرج خطاباً لمعين قد علم حاله ، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول ﷺ ، إنما يثبت حكمها في نظيرها .

فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحبّ ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات .

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ، فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية ؛ بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره ، أو وقعوا فيها أو قد يتركونها ترك المنتهي الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها ، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً ، فهم بين الغالي فيه والجافي عنه ، والله سبحانه أعلم»[٢٠] .

قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد : «فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها ، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر ولا يحصل المقصود الشرعي لم يشرع الهجر ، وكان مسلك التأليف خشية زيادة الشر . . .

ومن أهم المهمات هنا : إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل : التعليم ، والجهاد ، والطب ، والهندسة ، ونحوها تتعذر إقامتها إلا بواسطتهم ؛ فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ومصلحة التعليم وهكذا مع الحذر من بدعته ،

واتقاء الفتنة به وبها ما أمكن ، وبقدر الضرورة ، فإذا زالت عاد أهل السنة إلى الأصل في الهجر ، وأبعد المبتدع»[٢١] .

الثاني : الهجر الوقائي المانع .

قال ابن عبدالبر رحمه الله : «ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه أو تخاف من شره في بدعة أو غيرها»[٢٢] .

وقال : «وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه ، فإن كان كذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده»[٢٣] .

ومدار هذا النوع على قوله ﷺ : «مَن سمع بالدجال ؛ فلينأ عنه ، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات ، أو لما يبعث به من الشبهات»[٢٤] .

وعلته أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة ، ولذلك وظف السلف هذا النوع في حياتهم العملية ضد البدعة ودعاتها لكيلا يظفر مبتدع بنيل مناه في إلقاء شبهاته وإظهار دعوته وحفاظاً على عدة المستقبل وأمل الغد من ناشئة المسلمين حتى لا يصرعوا في محاضن الأدعياء دعاة البدع وأئمة الضلالة الذين يتكلمونه بكلام ظاهره كنقد الذهب ، وباطنه أحرق للقلوب من اللهب .

ومفردات هذا النوع :

١ ـ عدم مجالستهم .

٢ ـ عدم الدخول عليهم ومخالطتهم .

٣ ـ عدم مشاورتهم .

٤ ـ عدم الاستماع والإصغاء إليهم .

٥ ـ عدم مجادلتهم ومناظرتهم .

وأقوال السلف في بيان ذلك طافحة بها كتب السنة[٢٥] ، ولذلك جعله الإمام أحمد أصلاً من أصول السنة ؛ فقال : «وترك الخصومات والجلوس مع أهل الأهواء»[٢٦] .

وقال ابن بطة رحمة الله معلّقاً على حديث عمران بن حصين المتقدم : «هذا قول الرسول ﷺ ، فالله يا معشر المسلمين لا يحملن أحداً منكم حسن ظنّه بنفسه وما عهد من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول : أداخله لأناظره ، أو لأستخرج منه مذهبه ، فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق

من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب .

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ، ويسبونهم في مجالسهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة ، وخفي المكر ، دقيق الكفر حتى صبوا إليهم»[٢٧] .

قال شيخ الإسلام: "وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم: فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجرة إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحتهم لم يشرع الهجر.

بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف: ولهذا كان النبي يتألف قوماً ويهجر آخرين: كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعون في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنات سواهم كثير: فإن في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن الشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بسبب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل.

ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع: كما كثرت القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطريق إليه".

قلت : وهذا النوع ينبغي إعماله في كل وقت وعدم إهماله ؛ لئلا يصبوا إليهم من لم تتمكن السنة من سويداء قلبه لصغره أو لجهله ، والوقاية مقدمة على العلاج كما لا يخفى .

٣ ـ الهجر لا يكون لمجرد ارتكاب فعل مختلف في حكمه بين الأئمة الأعلام ، أو لتعثر في زلة لا يخلو منها إمام ، أو هفوة لا يسلم منها كل واحد من الأنام ، لذلك ينبغي التفريق بين من أخطأ بعد تحري الحق وبذل الجهد ، ومن تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه فلا يدع عرقاً ولا مفصلاً إلا داخله ، فالأول مجتهد أخطأ ، والآخر بدعي متسرع ما أبطأ .

والاجتهاد الخطأ ليس كالابتداع أصلاً ووصفاً ونتيجة :

أما الأصل ؛ فإن الشرع قد دل على أن الهوى هو المتبع في البدع ، فهو مقصودهم ، ودليل الشرع تبع في حقهم ، فإذا خالف دليل الشرع أهواءهم تأولوه ، فإن استعصى عليهم ردّوه ، ويتبعون شبهة وافقت أغراضهم ، ويبتغون فتنة نالت إعجابهم .

قال مولانا الحق :﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَهَ . . .﴾ الآية (آل عمران : ٧) .

فأثبتَ اللهَ جلاله الزيغ أولاً ، ثم اتباع المتشابه منه ، وهو خلاف المحكم الواضح المعنى الذي هو أم الكتاب ومعظمه ، على هذا القليل ، فتركوا المعظم المحكم إلى القليل المتشابه ، الذي لا يعطي مفهوماً واضحاً ؛ إلا برده إلى المحكم .

فانظر رحمك الله كيف اتبعوا أهواءهم أولاً في مطالبة الشرع بشهادة الله .

وقال جلّ جلاله : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ (الأنعام : ١٥٩) .

ألم تر كيف نسب التفريق إليهم ، ولو كان التفريق في مقتضى الدليل لم ينسبه إليهم ، ولا أتى به في معرض الذم ، وليس ذلك إلا اتباع الهوى .

وإنما يأتي التفريق بعد وضوح الصراط المستقيم اتباعاً لبُنَيَّاتِ الطريق .

قال جل ثناؤه : ﴿وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيْماً فَاتَّبِعُوْهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُوْنَ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وأما المجتهد الراسخ ؛ فلا يبتدع بداءة ، وإن وقع منه فإنما يقع فلتة ، وبالعرض لا بالذات ؛ لأنه لم يقصد اتباع المتشابه ؛ أي : لم يتبع هواه ، ولا جعله عمدة ، وعلامة ذلك أنه ظهر له الحق أذعن له ، وأناخ بفهمه في رحابه مقراً به .

ولذلك ؛ فالابتداع يقع ممن لم يتمكن من علمه ، حيث لم يصح بمسبار العلم أنه من المجتهدين ، فهو الحري باستنباط ما خالف الشرع ، فإذا اجتمع له مع ذلك الجهل بمقاصد الشرع الهوى الباعث عليه في الأصل ، فكيف إذا انضاف إليه شبهاً ظنها شرعية على صحة ما ذهب إليه؟! فيتمكن الهوى من قلبه تمكناً لا يمكن في العادة الانفكاك عنه ، فيجري منه مجرى الكَلَب من صاحبه ؛ كما جاء في حديث الفرق[٢٨] .

والكَلَب داء عُضال ، لا يرجى شفاءه ، وكذلك البدع .

وهو أيضاً خبيث معد ، كذلك البدع وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ : «إن اللّه احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة»[٢٩] .

أي أن البدع تتجارى بأهلها ، فتحول بينهم وبين التوبة على الغالب ، والله غالب على أمره ، لكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأما الوصف ، فإن من اتبع هواه كان ضالاً .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّه . . .﴾ (القصص : ٥٠) .

وقال تعالى : ﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ﴾ (ص : ٢٦) .

وأما المجتهد الذي يتحرى مواقع الحق ، ولكنه يزل عنها أحياناً ، فيسمى ما صدر عنه خطأ أو غلطة أو زلة .

وأما النتيجة ؛ فإن كل مبتدع مذموم آثم .

قال ﷺ : «كل بدعة ضلالة»[٣٠] .

وبيان مصير الضلالة ، وأنها في النار ، تعلم أن معناها الإثم لا الخطأ ، حيث حمل بعضهم لفظ : (ضلالة) على الخطأ ؛ لأن ذلك من معانيه .

بينما كل مجتهد مأجور .

قال ﷺ :«وإذا حكم الحاكم ، ثم

أصاب ؛ فله أجران . وإذا اجتهد ، ثم أخطأ ؛ فله أجر»[٣١] .

وبهذه الإشارات يتبين الفرق الشاسع بين المبتدع والمجتهد الذي أخطأ ، وقد أدغمت في ثناياها علماً جمّاً ، يدركه من شم رائحة العلم بأدنى تأمل ، وأما من تبع هواه فبينه وبين ذلك حجاباً مستوراً وحجراً محجوراً ؛ لأنه يرى ظلام الباطل نوراً ، واعتقاد الحق ثبوراً .

الحواشي :

(١٩) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

(٢٠) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢١١ ـ ٢١٣) .

(٢١) «هجر المبتدع» (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

(٢٢) «تمهيد» (٦ / ١١٩) .

(٢٣) «المصدر نفسه» (٦ / ١٢٧) .

(٢٤) صحيح ـ أخرجه أبو داود (٥١٣٤) وأحمد (١٣٤/٤) والحاكم (٤ / ١٣٥) وغيرهم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما بإسناد صحيح .

(٢٥) وبخاصة «الإبانة» لابن بطة و«الشريعة» للآجري و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي وغيرها .

(٢٦) «أصول السنة» رواية عبدوس بن مالك العطار (ص ٣٠) .

(٢٧) «الإبانة» (٣ / ٤٧٠) .

(٢٨) انظره مخرّجاً في كتابي «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة» .

(٢٩) حسن ـ كما في «الصحيحة» لشيخنا (١٩٦٠) .

(٣٠) أخرجه مسلم (٨٦٧) ، وزاد النسائي (٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ١٣٧) بإسناد صحيح : وكل بدعة ضلالة .

(٣١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمروبن العاص رضي الله عنه .

بقلم الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

أسماء المؤلفات والتحقيقات المطبوعة والمخطوطة(*) للشيخ العلاّمة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني

هذا مسرد علميٌّ دقيقٌ ؛ حرصت فيه على تتبع أسماء الأعمال العلمية التي قام بها أستاذنا العلامة الشيخ أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني ـ أطال الله بقاءه ونفع به ، وعافاه وقواه ـ على مدار ستين سنة ـ أو أزيد ـ ؛ سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع بها أهل السنة النبوية ، ومحبي علمائها ، والله الموفق[1] .

وهي هذه :

١- آداب الزفاف في السنة المطهرة ـ تأليف ، (ط) .

٢- الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات ، للآلوسي ـ تحقيق وتخريج ، (ط) .

٣- الآيات والأحاديث في ذم البدعة ـ تأليف ، (خ) .

٤- الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ـ تأليف ، (ط) .

٥- أحاديث الإسراء والمعراج ـ تأليف ، (خ/رقم ٤٢) .

٦- أحاديث البيوع وآثاره ـ تأليف ، (خ) .

٧- أحاديث التحري والبناء على اليقين في الصلاة ـ تأليف ، (خ/رقم ١٤) .

٨- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضعّفها ـ أو أشار إلى ضعفها ـ ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ـ تأليف ، (خ/رقم ٨٣) .

٩- الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمهات الكتب الفقهية ـ تأليف[2] ، (خ/رقم ٤٠) .

١٠- الأحاديث المختارة ، للضياء المقدسي ـ تحقيق وتخريج ، (خ) .

١١- الاحتجاج بالقدر ، لابن تيمية ـ تحقيق ، (ط) .

١٢- أحكام الجنائز ـ تأليف ، (ط) .

١٣- أحكام الركاز ـ تأليف ، (خ) .

١٤- الأحكام الصغرى ، للإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق ، (خ) .

١٥- الأحكام الوسطى[٣] ، للإشبيلي ـ تخريج وتعليق وتحقيق ، (خ) .

١٦- أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ، لابن دِحْية ـ تحقيق وتخريج ، (ط) .

١٧- الأذكار ، للنووي ـ تعليق وتخريج[٤] ، (خ) .

١٨- إرشاد النقاد في تيسير الاجتهاد ، للصنعاني ـ تخريج وتعليق ، (خ/رقم ٥٦ ـ ١) .

١٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ تأليف ، ثمانية مجلدات ، (ط) .

٢٠- إزالة الدَّهش والولَه عن المتحير في صحة حديث «ماء زمزم لما شرب له» ـ تخريج ، (ط) .

٢١- إزالة الشكوك عن حديث البروك ـ تأليف ، (خ/رقم ٢٤) .

٢٢- الأسئلة والأجوبة[٥] ـ تأليف ، (خ/رقم ٩٥) .

٢٣- أسباب الاختلاف ، للحميدي ـ تحقيق ، (خ) .

٢٤- أسماء الكتب المنسوخة من المكتبة الظاهرية ـ إعداد ، (خ) .

٢٥- إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، للقاسمي ـ تخريج وتعليق ، (ط) .

٢٦- أصول السنة واعتقاد الدين ، للحميدي ـ تحقيق ، (خ) .

٢٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن القيم ـ تخريج (تحت الطبع) .

٢٨- اقتضاء العلم العمل ، للخطيب البغدادي ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٢٩- الإكمال في أسماء الرجال ، للتبريزي ـ تحقيق ، (ط) .

٣٠- الأمثال النبوية ـ تأليف ، (خ/رقم١٩) .

٣١- الإيمان ، لابن أبي شيبة ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٣٢- الإيمان ، لابن تيمية ـ تعليق ، (ط) .

٣٣- الإيمان ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق وتخريج وتعليق ، (ط) .

٣٤- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد شاكر ـ تعليق

(مجلدان)[٦] ، (ط) .

٣٥- بداية السُّول في تفضيل الرسول ، للعز بن عبدالسلام ـ تحقيق وتخريج .

٣٦- بغية الحازم[٧] في فهارس مستدرك الحاكم ـ إعداد ، (خ) .

٣٧- بين يدي التلاوة ـ تأليف ، (خ) .

٣٨- تأسيس الأحكام شرح بلوغ المرام ، للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ـ تعليق ، (طبع منه الجزء الأول) .

٣٩- تاريخ دمشق ، لأبي زرعة ـ رواية أبي ميمون ـ تحقيق وتعليق ، (خ) :

٤٠- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ـ تأليف ، (ط) .

٤١- تحريم آلات الطرب[٨] ـ تأليف ، (ط) .

٤٢- تحقيق معنى السنة ، لسليمان الندوي ـ تخريج ، (ط) .

٤٣- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ، للربعي ـ تأليف ، (ط) .

٤٤- تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر ، للقرضاوي ـ تأليف ، (ط) .

٤٥- تخريج حديث أبي سعيد الخدري في سجود السهو ـ تأليف ، (خ) .

٤٦- ترجمة الصحابي أبي الغادية ، ودراسة مرويات قتله عمار بن ياسر[٩] ـ تأليف ، (خ/رقم٦٨) .

٤٧- تصحيح حديث إفطار الصائم ـ تأليف ، (ط) .

٤٨- التعقيب على رسالة الحجاب ، للمودودي ـ تعليق ، (ط) .

٤٩- التعقيب المبعوث على رسالة السيوطي الطُّرْثوث ـ تأليف ، (خ) .

٥٠- التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب ـ تأليف ، (خ) .

٥١- التعليق على رسالة كلمة سواء ـ تعليق وردّ ، (خ/رقم٧١) .

٥٢- التعليق على سنن أبي ماجه ـ تخريج ، (خ)[١٠] .

٥٣- التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد ، للّكنوي ـ تعليق وتحقيق ، (خ) .

٥٤- التعليقات الجياد على زاد المعاد ـ تأليف ، (مفقود) .

٥٥- التعليقات الحسان على الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بَلْبان ـ تأليف ، (خ) .

٥٦- التعليقات الرضية على الروضة الندية ، لصديق حسن خان ـ تأليف (ثلاثة مجلدات)[١١] ، (ط) .

٥٧- تلخيص أحكام الجنائز ـ تأليف ،

(ط) .

٥٨- تلخيص حجاب المرأة المسلمة ـ تأليف ، (خ) .

٥٩- تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ ـ تأليف ، (ط) .

٦٠- تمام المنة في التعليق على فقه السنة ـ تأليف ، (ط) .

٦١- تمام تمام المنة في التعليق على فقه السنة ـ تأليف ، (خ/رقم٦ ـ ١) .

٦٢- تمام النصح في أحكام المسح ـ تأليف ، (ط) .

٦٣- التمهيد لفرض رمضان ـ تأليف ، (خ/رقم٨٥) .

٦٤- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، للمُعلمي ـ تحقيق وتعليق (مجلدان) ، (ط) .

٦٥- تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه ـ تأليف ، (خ)[١٢] .

٦٦- التوحيد ، محمد أحمد العدوي ـ تخريج وتعليق ، (خ) .

٦٧- التوسل أنواعه وأحكامه ـ تأليف ، (ط) .

٦٨- تيسير انتفاع الخلان بـ «ثقات ابن حبان» ـ تأليف ، (خ) .

٦٩- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ـ تأليف (لم يتم) ، (خ/رقم٥) .

٧٠-جلباب المرأة المسلمة[١٣] ـ تأليف ، (ط) .

٧١- الجمع بين ميزان الاعتدال للذهبي ، ولسان الميزان لابن حجر . (خ) .

٧٢- جواب حول الأذان وسنة الجمعة ـ تأليف ، (خ/رقم٧٤) .

٧٣- حجاب المرأة ولباسها في الصلاة ، لابن تيمية ـ تحقيق وتعليق وتخريج ، (ط) .

٧٤- حجة النبي ﷺ ـ تأليف ، (ط) .

٧٥- حجة الوداع[١٤] . (خ/رقم٩) .

٧٦- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ـ تأليف ، (ط) .

٧٧- الحديث النبوي ، لمحمد الصباغ ـ تخريج .

٧٨-حقوق النساء في الإسلام ، لرشيد رضا ـ تعليق ، (ط) .

٧٩- حقيقة الصيام ، لابن تيمية ـ تخريج ، (ط) .

٨٠- حكم تارك الصلاة ـ تأليف ، مطبوع بإعدادي وتقديمي ، وإشراف شيخنا[١٥] ، (ط) .

٨١- الحوض المورود في زوائد منتقى ابن الجارود ـ تأليف ، (خ) .

٨٢- خطبة الحاجة ـ تأليف ، (ط) .

٨٣- الدعوة السلفية ؛ أهدافها وموقفها من المخالفين لها ـ تأليف ، (خ) .

٨٤- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في «فقه السيرة» ـ تأليف ، (ط) .

٨٥- ديوان الضعفاء والمتروكين ، للذهبي ـ تحقيق وتعليق ، (خ) .

٨٦- الذبّ الأحمد عن مسند الإمام أحمد[١٦] ـ تأليف ، (ط) .

٨٧- رجال الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ـ إعداد ، (خ/رقم٥٢) .

٨٨- الرد على أرشد السلفي ـ تأليف ، وهو مطبوع ضمن كتاب الرد العلمي لـ علي بن حسن الحلبي ، وسليم الهلالي ، (ط) .

٨٩- الرد على التعقيب الحثيث[١٧] ، للحبشي الهرري ـ تأليف ، (ط) .

٩٠- الرد على رسالة الشيخ التويجري في بحوث من صفة الصلاة ـ تأليف ، (خ) .

٩١- الرد على السخاف فيما سوّده على «دفع شبَه التشبيه» ـ تأليف ، (خ/رقم٦٤ ـ ١) .

٩٢- الرد على الشيخ إسماعيل الأنصاري في مسألة الذهب المحلّق ـ تأليف ، وهو مطبوع ضمن كتاب «حياة الألباني وآثاره» للأخ الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ، (ط) .

٩٣- الرد على عز الدين بليق في «منهاجه» ـ تأليف[١٨] ، (خ) .

٩٤- الرد على كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» ، لمحمد عبدالحليم أبو شقة ـ تأليف ، (خ) .

٩٥- الرد على كتاب «ظاهرة الإرجاء» ، لسفر الحوالي ـ تأليف ، (خ) .

٩٦- الرد على كتاب «المراجعات» ، لعبدالحسين شرف الدين الرافضي ـ تأليف ، (خ/رقم٣٣) .

٩٧- الرد على «هدية البديع» في مسألة القبض بعد الركوع ـ تأليف ، (خ) .

٩٨- الرد المفحم على من خالف العلماء وتشدد وتعصب ، وألزم المرأة بستر وجهها وكفيها وأوجب ، ولم يقنع بقولهم : إنه سنة ومستحب ـ تأليف ، (خ/رقم٩٠) .

٩٩- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار[١٩] ، للصنعاني ـ تحقيق

وتعليق ، (ط) .

١٠٠- الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير ـ تأليف ، (خ)[٢٠] .

١٠١- رياض الصالحين ، للنووي ـ تخريج ، (ط) .

١٠٢- زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير ، للخيضري ـ تحقيق وتعليق ، (خ/رقم١٧١) .

١٠٣- الزوائد على الموارد[٢١] ـ تأليف ، (خ) .

١٠٤- سؤال وجواب حول فقه الواقع ـ فتوى ، مطبوعة بإعدادي وإشراف شيخنا ، (ط) .

١٠٥- سبل السلام ، للصنعاني ـ تعليق ، (خ) .

١٠٦-السفر الموجب للقصر ـ تأليف ، (خ/رقم٣٨) .

١٠٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ (ستة مجلدات ، والسابع تحت الطبع ، والثامن مخطوط لم يتم) ـ تأليف ، (ط) .

* * *

الحواشي :

* ما أُتبع بحرف : (ط) ؛ فهو مطبوع ، وما أُتبع بحرف : (خ) ؛ فهو مخطوط ، والرقم الذي في نهاية بعض الأسماء هو رقمه في خزانة كتب شيخنا .

(١) وإن فسح الله في العمر ، وسدد في العمل ؛ ففي النفس التوسع في هذا المعجم ، وذكر كثير من الفوائد المتعلقة بهذه الكتب ، إما من حيث مناهج تصنيفها أو تتبع الرادين عليها ، وكذلك ذكر طبعاتها وناشريها . . . ونحو ذلك .

(٢) وقد أرسل شيخنا إلى وزارة الأوقاف الكويتية (سنة ١٣٨١هـ) بمقدمة هذا المشروع ، وكلامه على الثلاثة أحاديث الأول ؛ لينشروه في مجلتهم ، ثم لم يأته جواب!!

(٣) وقد كان شيخنا يعزو إليه ـ قديماً ـ باسم «الأحكام الكبرى» ، ثم ترجح لديه ـ بعدُ ـ أنه «الوسطى» .

(٤) وهو أصلاً تلخيصٌ لكتاب «نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار» للحافظ ابن حجر ـ وقد كان مخطوطاً يومئذٍ ـ .

(٥) منها : حكم قراءة القرآن على الموتى ، وحكم المولد ، وقضاء الصلاة الفائتة بغير عذر ، وذهاب المرأة مع النساء إلى التراويح ، وتكرار الجمعة . . . وغير ذلك .

(٦) وهو مطبوع بتحقيقي .

(٧) وقع في قائمة كتاب الأخ الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ـ مختصر حياة الألباني ـ (ص٧٧) : المازح! وهو تطبيع طريف!!

قلت : وفي قائمته ـ جزاه الله خيراً ـ أوهام عدة! ونواقص كثيرة متعددة!!

(٨) وله اسم آخر ؛ هو : الرد بالوحيين وأقوال أئمتنا ، على ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغنا ، وعلى الصوفيين الذين اتخذوه قربة ودينا .

(٩) وأما «تسديد الإصابة إلى من زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة» ؛ فليس هو اسم كتاب معين ، وإنما هو اسم لسلسة علمية تحوي كتباً متعددة ؛ فتنبه .

(١٠) وهو غير «صحيح سنن ابن ماجه» ، و«ضعيفه» .

(١١) وهو مطبوع بتحقيقي .

(١٢) وهو الذي يعمل فيه شيخنا ـ الآن ، ومن أكثر من عام ـ بهمة عالية ، ونشاط موصول ؛ على ما ألمّ به ـ شفاه الله وقواه ـ من أمراض في الفترة الأخيرة ؛ إلا أن الله ـ سبحانه ـ وله الفضل والمنة ـ عافاه من أكثرها .

وقد منّ الله علي ـ وله الفضل والتوفيق ـ أن أكون منذ بضعة شهور ملازماً للشيخ ـ حفظه الله ـ يومياً ، في تصنيف هذا الكتاب ، خادماً له في مادّته ، معيناً له في تأليفه ، سائلاً ربي سبحانه أن يجزيه عني وعن الأمة خيراً ، وأن يزيده فضلاً وبرّاً .

(١٣) وهو المطبوع قديماً باسم «حجاب المرأة المسلمة» ، ثم ارتأى شيخنا تغييره إلى هذا الاسم في طبعاته الجديدة ، المنقحة والمزيدة .

(١٤) ولعله ـ هو ـ «الحج الكبير» الذي يشير إليه شيخنا أحياناً .

(١٥) ومن العجب العجاب : تشكيك بعض الكُتّاب(!) بنسبة هذا الكتاب بغير حق ولا صواب وانظر الكتاب الآتي برقم (٩٥) .

(١٦) وقد كان تأليف هذه الرسالة بناءً على طلب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ .

(١٧) وأما كتاب «الرد على الجهمية» للدارمي ـ المثبت على غلافه اسم شيخنا ـ : فإن تحقيقه منسوب للشيخ ، وليست له! كما أجابني شخصياً قبل نحو عشر سنوات أو زيادة عندما سألته عنه .

(١٨) وهو مجلد متوسط ، وقد طبع منه بضع مقالات ـ فقط! ـ قبل نحو خمس عشرة سنة في جريدة الرأي الأردنية!!

(١٩) وقد رأيت بخطه تسميته له : «التعليقات الخيار» .

(٢٠) وقد كتب شيخنا على طرّته ـ بخطه ـ : «المؤلف لا يرغب بطبع هذا الكتاب ؛ لأنه من أوائل أعماله العلمية . ناصر» .

قلتُ : مع أنّ هذا الكتاب ـ بالرغم من هذه الملاحظة ـ فيه فوائد عالية ، وتنبيهات غالية .

(٢١) هو «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» ، للهيثمي ، وقد استدرك عليه شيخنا عشرات الأحاديث التي فاتته مما هي على شرطه!

«إنّ تزكية النفوس مسلمٌ إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً وبياناً وإرشاداً لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم»

ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥)

الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان

قواعد تأهُّل الفرد المسلم للعلم الشرعي[1]

تأهيل الفرد المسلم للعلم الشرعي يكون أولاً : بتكوين اتجاه إيجابي فعال نحو أهمية هذا العلم للفرد وللأمة وتكوين الشعور بالتذوق العلمي وروح التضحية من أجل العلم والاستمرار في طلبه خدمةً للأمة ورفعاً لمكانتها ثم بتكوين الطموح في البحث في أغوار هذا العلم والوقوف علىَ أسرار الكون وتكوين روح الالتزام بالعلم وتكوين الشعور بالمسؤولية العلمية بحيث لا يقوم المسلم بشيء إلا وهو على بينة وعلم به ولا يتعلم شيئاً إلا وينزع إلى العمل به مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿**ولا تقف ما لي ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ (الإسراء : ٣٦) .

فلابد أن يستشعر المسلم أنه مسؤول عن تعلم دينه وتربية نفسه بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ثم بعد ذلك هو مسؤول إذا أصبح أبا عن تربية أولاده وأهله ومسؤول عن تربية أهله وتعليم جيرانه ومجتمعه بقدر الاستطاعة فالإسلام يريد من التربية الذاتية للمسلم أن يصوغه صياغة إيجابية حية فلا يسكت عن ضيم يصيبه ولا يرضى بمنكر في ساحته ولا يتغاضى عن الخنا في داره يشغل وقته آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يرمق من حوله فيتأثرون به ويؤثرون فيه صلاحاً وإصلاحاً كما فعل النبي ﷺ في إصلاح الرعيل الأول ؛ حين عين لهم الهدف وتركهم يرشدون الناس بل والبشرية قاطبة .

لهذا يجب أن يترجم العلم الشرعي إلى منهج فكر وأسلوب حياة ونظام تنشئة ورعاية شريعة ورؤية صادقة لعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة إنه عملية توجيه ورعاية وتنمية للإنسان يصبح في عقيدته وفكره وعلمه وجسمه وسلوكه بعامه تجاه نفسه وغيره وتجاه ما سخره الله له في

الكون نابع من شريعة الله التي أنزلها مقتدياً بسنة النبي ﷺ .

إن الله تعالى إنما خلق السماوات والأرض ونزل الأمر لنعلم أنه على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل شيء علماً فيكون هذا دليلاً على معرفته ومعرفة صفاته كما قال تعالى : ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾ (الطلاق : ١٢) .

وإذا كانت العلوم تنقسم من حيث إفادتها إلى نافع وضار فالمسلم مطالب بالاستفادة والاستزادة من العلم النافع وهو المعني بقول الله تعالى : ﴿**وقل رب زدني علما**﴾ (طه : ١١٤) .

وللعلوم النافعة أسس وركائز يجب أن نعيها عند تأهيل الفرد المسلم للعلوم الشرعية منها :

* موافقتها للكتاب والسنة وعدم معارضتها أو محاداتها بالشرع في كل جزء من جزئياتها .

* العمل بها فيما يعود بالخير على الفرد والمجتمع نشراً وتعليماً ومنهجاً وفكراً .

* يجب الإخلاص فيها وتقديم النية الصالحة والبعد عن الهوى والمقاصد السيئة .

* ربط السلم التعليمي بمنهج السلف معياراً لضبط قواعد التعليم والتعلم على هديهم الرشيد .

* مراعاة الظروف والمتغيرات والمستجدات على المجتمع الإسلامي والاستفادة من استخدام الوسائل التعليمية الحديثة التي تساعد على تعلم العلم الشرعي حفظاً وفهماً وتأصيلاً وتلقيناً .

* يعد التدرج من أهم وسائل تلقي العلوم الشرعية وإحدى دعائم تحقيق الأهداف التربوية . . . ولو رجعنا إلى تاريخ التعليم في الإسلام لوجدنا الأصول والقواعد التي كان السلف الصالح يتبعونها في منهج التلقي عن رسول الله ﷺ من حيث الإطاقة والتدرج في التكليف والتعليم وفهم المواقف والمناسبات المختلفة والمتابعة والسؤال والحوار والمناقشة واستخدام كل وسيلة ممكنة لتوضيح المواقف التعليمية وغير ذلك كثير مما لا يتسع له المقام .

فتلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون

مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، فيلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حين ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم .

فتلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، فيلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حين ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم.

فعلى العلماء والمربين أن ينتبهوا إلى هذا الأمر فيربوا طلابهم بالتدرج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منهم ما يطيقون ، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم بل دون هذه النسبة بكثير .

إنه يجب أن يبتدئوا بالأهم فالمهم مراعين التدرج فإنه سنة الله في الكون ، يجب أن يبدأ التعليم الشرعي بكتاب الله أولاً ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالأصول من علم الفقه ، ثم بفروعه وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ، ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ، وليقتصر من شائع علم اللغة على ما يفهمون منه كلام العرب دون التعمق بل بما يتعلق بفهم الكتاب والسنة .

فالعلم الشرعي بناء متكامل لشخصية الإنسان المؤمن بحيث تجعلنا لا نقف عند صلاح عقيدته في الفكر فحسب بل نمتد بالإصلاح إلى عقله واستقامة منهجه بالبحث والتكامل وطلب الدليل ومسلكه وتعامله وتحليه بالآداب الشرعية والنظم المرعية واتزانه العاطفي وتوجهاته وكل حركاته وسكناته .

الحاشية :

(١) انظر في هذا الموضوع : معالم بناء نظرية التربية الإسلامية لمقداد يالجن ص٨٠ ، والمحور الأول ص١٣ - ١٢٢ ، والمحور الثالث ص١١٣ ، وحديث أبي الدرداء في طلب العلم ، ص٤٠ - ٤١ - ٥٤ - ٥٥ .

الشيخ الدكتور عثمان معلم محمود الصوملي

الفرق بين الجهاد في سبيل الله والخروج على الحكام

أولاً: مفهوم الجهاد:

تعريف الجهاد في الشرع هو: قتال الكفار لإعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الجهاد، فقال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»[1].

وبنحو ذلك فسر العلماء الجهاد فقال ابن حجر: بذل الجهد في قتال الكفار[2].

وقال القسطلاني: قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله[3].

وقال صاحب الدر المختار: الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله[4].

وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على غير قتال الكفار كما قال ﷺ: «الجهاد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[5].

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد.

قال ابن رشد: وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[6].

والذين أمرنا بقتالهم هم:

١- الكفار الأصليون سواء كانوا أهل كتاب أو مجوس أو مشركين.

٢- المنافقون إذا أظهروا نفاقهم لقوله تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...»، على اختلاف في كيفية جهادهم.

٣- المرتدون.

٤- المحاربون المفسدون في الأرض.

٥- البغاة.

وأدلة ذلك مبسوطة في غير هذا

الموضع .

وأحاديث فضائل الجهاد منطلقة على جهاد الكفار .

والجهاد الصحيح المستوفي لشروطه هو الذي يتمناه كل محب لدينه ، قال النبي ﷺ : «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[٧] .

وفي هذا العصر اختلطت المفاهيم فصار قطاع كبير من الشباب لا يفهم من كلمة الجهاد إلا محاربة الحكام مع ما يستلزمه ذلك في الغالب من الفتنة بين المسلمين .

والنبي ﷺ كما حث على الجهاد في سبيل الله فكذلك حذر من القتال الذي يقع بين المسلمين بغير حق وشدد في أمر دماء المسلمين .

ومن عجائب هذا الزمان أننا نجد كثيراً من الشباب يتألم لما يحصل للمسلمين في البوسنة والهرسك من جانب الصرب الأرثوذكس المتعصبين ، مع العلم بأن الدولة في البوسنة علمانية وتصرح بذلك ، وكذلك الشعب هناك لا يقارب مسلمي الصومال في التمسك بالإسلام ، ومع ذلك يتحمسون للقتال في الصومال . فهل الدماء التي يريقها الشباب هنا أرخص من دماء البوسنيين هناك؟ أم أن الأشقاء يغتفر في قتلهم ما لا يغتفر في قتل الأباعد؟

والمقصود أن قضية الأسماء مهمة ، فالجهاد في سبيل الله كما أراد الله لا يكون إلا حقاً ، بينما قتال الحكام يفصل فيه الأمر بين قتال من أتى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان ومن ليس كذلك .

والسلف كانوا يستخدمون لفظ الخروج عندما يعبرون عن هذا المعنى ، والمعتزلة كانوا يستعملون لفظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذا ما سنتعرض له في المبحث القادم إن شاء الله .

ثانياً: الخروج على الحكام:

عندما انتشرت فتنة تكفير المسلمين في أواخر العقد الأخير من القرن الهجري الماضي في القطر الصومالي انبرى لرد تلك الفكرة بعض الدعاة الغيورين ، ورأوا فيه إفساداً للدعوة وتخريباً لمنهج أهل السنة والجماعة ، ورجعوا إلى كتب السلف ونهلوا من كتب ابن تيمية وابن القيم فاستفادوا وأفادوا .

وقد تعافى الشباب من تلك الفكرة

عموماً .

أما مسألة تكفير الحكام فلم يعيروها أي اهتمام يذكر .

وأعطيت الحرية للشباب في هذا المجال كل يؤمن بما يحلو له ، وكأنه ليس لأهل السنة في القضية مقال ، وانعكس هذا الإهمال على الدعوة لاحقاً .

ومعلوم أن العذر بالجهل قاعدة قطعية عند أهل السنة للنصوص الكثيرة في ذلك .

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي : من رضي بالإسلام ديناً ولو إجمالاً فالأصل فيه أنه معذور في خطئه وغلطه ، ومن لم يرض بالإسلام ديناً فالأصل فيه أنه غير معذور ، ولا يخرج أحدهما عن أصله إلا ببيان واضح .

هذا في الحكم الظاهر ، فأما عند الله عز وجل فالمدار على الحقيقة . . . وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحكم في من أسلم أنه على إسلامه وإن ظهر منه خلاف ذلك ما لم يتضح أمره ، فمن ذلك قصة ذات أنواط . . . ومن ذلك حديث الصحيحين عن عتبان بن مالك في صلاة النبي ﷺ في بيته ، وفيه : فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخش؟ فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال : لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟» . قال : الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله لا نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» .

وذكر الشيخ قصة حاطب بن أبي بلتعة وعذر النبي ﷺ إياه مع ما ظهر منه ، إلا غير ذلك من الأحاديث .

فليحتط امرؤ لنفسه وليتق تكفير الناس ، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «أيما رجل قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما» .

وقد ترجم البخاري في صحيحه لهذا الحديث (باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) .

قال الشيخ المعلمي : فأما كف النبي ﷺ عن قتل من ثبت نفاقه فقد بين سبب ذلك بقوله ﷺ : «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» كما في الصحيحين .

ولأنهم كانوا إذا سئل عن كلماتهم الخبيثة جحدوها واعتذروا عنها وأظهروا التوبة فأمر الله تعالى بالإعراض عنهم ، قال سبحانه : ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضو عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ (التوبة : ٩٥)[٨] .

وقد طبقت قاعدة العذر بالجهل على الشعب ، أما الجهاز الحاكم فلم تقبل لهم أية معاذير فيما يتعللون به لتركهم تحكيم الشريعة .

وقد تقرر عند أهل السنة أن مجرد ترك الحكم بما أنزل الله في قضية ما أنه لا يكون كفراً مخرجاً من الملة ، وإنما هو من الكبائر .

وقد يقع في ذلك جهلاً منه بالحكم بعد الاجتهاد كما قد يحصل أحياناً من القضاة .

هذا إذا لم يصاحب ذلك الترك جحد ذلك الحكم المعلوم بالضرورة من دين الله ، أو اعتقاد أنه لا يصلح لهذا العصر أو أن ما حكم به أفضل من حكم الله ، أو أنهما متساويان ، أو أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله وإن أقر بأن تحكيم الشريعة واجب وأنه أفضل من الحكم الوضعي .

فهناك كفر اعتقادي وكفر عملي .

ولذلك ورد عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى : ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فإلئك هم الكافرون**﴾ أنه كفر دون كفر .

وثبت عن ابن عباس أن المعني بالآية هو الجاحد ، وأما من أقر ولكن لم يحكم به فهو ظالم فاسق .

أخرج ذلك عنه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[٩] .

وإن كان ظهر من بعض حكام هذا العصر الرفض الصريح للشريعة وعدم قبولها والالتزام بها ، فهؤلاء لا يستراب في كفرهم ، لكن تعميم التكفير خطأ وجهل من قائله .

وقد يقع من بعض الجهال من الحكام وغيرهم الانخداع ببعض المقالات الكفرية التي يجهلون حقائقها ولوازمها كالقول بالديمقراطية ونحوها ، فلا يسارع إلى تكفيرهم إلا بعد قيام الحجة عليهم وتوفر الشروط وانتفاء الموانع ، فإن الفعل قد يطلق عليه أنه كفر ويحذر منه لكن عند التطبيق على المعيّن يحتاج الأمر إلى التريث والأخذ بعين الاعتبار مسألة قيام

الحجة وتبين المحجة ـ والذي يقيم الحجة هو العالم العدل .

ولا يفهمن أحد من كلامنا أننا ندافع عن المجرمين ، بل نتبع أهل العلم فيما حققوا من هذه المسائل .

وهل إذا قرر أحد أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر عند أهل السنة يجوز أن يقال له : أنت تدافع عن أصحاب الكبائر أو تتعاطف معهم؟

هذا ما يتعلق بالتكفير ، أما الخروج على الحاكم فيفصل فيه الأمر ، فإن كانت جماعة المسلمين ـ ممثلة بعلمائها الحقيقيين ـ رأت منه كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان فإنه حينئذٍ يجوز الخروج عليه بعد استكمال القدرة .

وهذا لا يكون إلا بعد إنذاره وعدم تنحيه سِلْماً .

وإن كان مسلماً ولم يظهر منه الكفر البواح الذي يستعلن به فإنه لا يجوز الخروج عليه إن كان يقيم الصلوات الخمس .

ومعلوم أن بعض الأمراء كانوا يميتون الصلاة ويخرجونها عن وقتها ، ومع ذلك فإن الرسول ﷺ لم يأمر بقتالهم ، لأن ذلك فسق .

لا يسارَع إلى التكفير إلا بعد قيام الحجة عليهم وتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فإن الفعل قد يطلق عليه أنه كفر ويحذر منه لكن عند التطبيق على المعيّن يحتاج الأمر إلى التريث والأخذ بعين الاعتبار مسألة قيام الحجة وتبين المحجة. والذي يقيم الحجة هو العالم العدل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما الأمراء الذين كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ، ونهى النبي ﷺ عن قتالهم ، فإن قيل إنهم كانوا يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت فلا كلام ، وإن قيل ـ وهو الصحيح ـ إنهم كانوا يفوّتونها ، فقد أمر النبي ﷺ الأمة بالصلاة في الوقت ، وقال : «اجعلوا صلاتكم معهم نافلة» ونهى عن قتالهم ، كما نهى عن قتال الأئمة إذا استأثروا وظلموا الناس حقوقهم ، واعتدوا عليهم ، وإن كان يقع من الكبائر في أثناء ذلك ما يقع . ومؤخرها عن وقتها فاسق ، والأئمة

لا يقاتلون بمجرد الفسق ، وإن كان الواحد المقدور قد يقتل لبعض أنواع الفسق كالزنا وغيره . فليس كلما جاز فيه القتل ، جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه ؛ إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر[١٠] .

والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله ﷺ : «خيار أئمتكم الذي تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قال : قلنا : يا رسول الله! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال : «لا ما أقاموا الصلاة ، لا ما أقاموا الصلاة»[١١] .

قال الشوكاني : فيه دليل على أنه لا يجوز منابذة الأئمة بالسيف مهما كانوا مقيمين للصلاة[١٢] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها ؛ قالت : إن رسول الله ﷺ قال : «إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع . قالوا : أفلا نقاتلهم؟ قال : لا ، ما صلوا[١٣] .

فهذان الحديثان وما يماثلهما يوضحان أن الأمراء مستثنون من الإنكار عليهم باليد .

قال الأثرم : تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه وعن الصحابة والأئمة بعدهم رضي الله عنهم يأمرون بالكف ويكرهون الخروج وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة ومذهب الحرورية وترك السنة[١٤] .

قال البربهاري : لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار . . . وليس في السنة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدنيا والدين[١٥] .

وانظر سيرة الإمام أحمد مع الولاة الذين كانوا يكرهونه على القول بخلق القرآن ، وهي مسألة كفرية كما قال ابن القيم :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في
عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ
هم بل حكاه قبله الطبراني

يعني : أن خمس مئة عالم يرون كفرهم أي الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن .

ومع ذلك لم يكن يكفرهم الإمام أحمد لقيام الشبه عندهم وتزيين علماء السوء لهم ، وكان أيضاً لا يرى الخروج

عليهم .

قال حنبل بن إسحاق : وفي ولاية الواثق اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبدالله : أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم فجاؤوا إلى أبي عبدالله ، فاستأذنت لهم فقالوا : يا أبا عبدالله! هذا الأمر قد تفاقم وفشا ـ يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك ـ فقال لهم أبو عبدالله : فما تريدون؟ قالوا : أن نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فناظرهم أبو عبدالله ساعة وقال لهم : عليكم بالنكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظه . ومضوا ودخلت أنا وأبي على عبدالله بعد ما مضوا فقال أبي لأبي عبدالله : نسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد ﷺ وما أحب لأحد أن يفعل هذا وقال أبي : يا أبا عبدالله هذا عندك صواب؟ قال : لا . هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر[١٦] .

وأما من قاتل الولاة في العصر الأول فكانوا متأولين ، لكن النصوص تدل على عدم جواز الخروج ، قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق : وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور ، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه ، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه . فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم ، فيصبر عليه[١٧] .

وقال ابن تيمية أيضاً : وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير . كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذي خرج على عبدالملك بالعراق ، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان ، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء .

وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا وإما أن يَغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبدالله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً ، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور . وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم

أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا . والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة ، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال ، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم[18] .

ثم قال بعد كلام طويل : ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم[19] .

ويرى بعض الفقهاء إجماعهم على ذلك إذ يقول : حرمة الخروج على الإمام الجائر مأخوذ من إجماع الطبقة المتأخرة من التابعين[20] .

الحواشي :

(١) مسند الإمام أحمد ٤/١٤ .

(٢) فتح الباري ٦/٢ .

(٣) إرشاد الساري ٥/١٣ .

(٤) حاشية رد المحتار لابن عابدين ٤/١٢١ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند وابن حبان والحاكم وصححاه .

(٦) مقدمات ابن رشد ١/٣٦٩ . هذه النقول السابقة ملخصة من كتاب «أهمية الجهاد» للعلياني ص١١٦ - ١١٧ .

(٧) صحيح مسلم ٣/١٥١٧ رقم ١٩١٠ كتاب الإمارة باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو .

(٨) انظر في هذه النقول في كتاب العبادة للمعلمي ص٦٥٣ - ٦٥٩ باختصار وتصرف يسير ، والكتاب مخطوط ، عندي مصورته .

(٩) تفسير الطبري ١٠/٣٥٧ الأثر رقم ١٢٠٦٣ .

(١٠) مجموع الفتاوى ٢٢/٦١ .

(١١) أخرجه مسلم ٣/١٤٨١ كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم .

(١٢) نيل الأوطار ٧/١٩٧ .

(١٣) أخرجه مسلم ٣/١٤٨١ كتاب الإمارة باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع .

(١٤) الناسخ والمنسوخ له في آخر باب كف الأيدي عن قتال الأئمة وهو مخطوط محفوظ برقم ١٧٠٣ في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري .

(١٥) شرح السنة للبربهاري ص٢٩ .

(١٦) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/٤ - ٥ .

(١٧) مجموع الفتاوى ٢٨/١٧٩ - ١٨٠ .

(١٨) منهاج السنة النبوية ٤/٥٢٧ - ٥٢٨ .

(١٩) نفس المرجع السابق ٤/٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٢٠) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة تأليف عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص٤١٥ ناقلاً عن الشرقاوي والبجيرمي .

خير الدين وانلي

الحقيقة

لم أقُلْها في صراحَهْ
وهي للوِجدانِ راحَهْ
لم تكُن فرصةُ قولِ
الحقِّ لي يوماً مُتاحهْ
إنّ قولَ الحقّ صعبٌ
في الشعوبِ المستباحهْ
إنّ قومي في ضَلالٍ
لا يودّون اطِّراحَهْ
ما أتاهم من نَصوحٍ
عبقريٍّ ذي رجاحهْ
مرشدُ العميانِ أعمى
أو لَئيمٌ ذو وقاحهْ
والجهالاتُ استبدّتْ
مائلاتٍ كلَّ ساحهْ
عادةُ الإنسانِ صعبٌ
تركُها حتى المباحهْ

مركبٌ في البحرِ يجري
ليس للموجِ استراحهْ
نام رُبّانٌ وما الأحلامُ
تجدي في المِلاحهْ
مزّقت ريحٌ شراعاً
أطلَقَت منه صِياحهْ
بَيْدَ أنّ الموجَ لم يسمع
ولم يخفض جناحهْ
فاستغاثَ الركْبُ بل ناحوا
فلم تُجْدِ النياحه

* * *

إنّ من قد سيمَ ذُلاً
لا يرى في العزّ راحهْ
طائرُ الأقفاصِ لا
يستعذبُ العيشَ بساحهْ

من يعِشْ في ظلِّ سـوطٍ ... تاركـاً أمْراً بمعـروفِ

يكسـر الظلمُ جنـاحهْ ... ونهياً عن قبـاحهْ

لا ترُمْ ممن تربّـى ... فهو يخشى كل نقدِ

خانعاً دفعاً بـراحهْ ... يحسَبُ النصحَ استباحهْ

يُذْهِبُ الإذلالُ ريـحَ ... خائفٌ من كلِّ ظلِّ

المرءِ ينْسيه سـلاحهْ ... كلِّ همسٍ أو نـواحهْ

لا يقولُ الحقَّ خـوفَ ... عيشُهُ أكلٌ ونـومْ

الضُّرِّ بل يخشى افتضاحهْ ... مثلَ أنعـامٍ مراحهْ

إنّ الساعي إلى الرشاد الموصوف بالخشية يحتاج إلى الدليل الهادي المفصل، فهو يحتاج إلى الظفر بهذا الدليل أولاً، ويحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع ثانياً، ويحتاج إلى أن ينزل على قلبه الأسباب الهادية، ويصرف عنه الأسباب المعوّقة ثالثاً، فإذا حصل للعبد غفلة وذهول استذكر هذه العلوم فضلاً عن العلوم والإرادات الفطرية فزال عنه الإعراض وتذكر بهذه العلوم والإرادات مطالب القرآن الكبرى.

من كلام شيخ الإسلام بتصرف في المجموع (٤/ ٣٦)

بقلم عمر الأحمد

مِن ضلالات الغماري في تعليقه على «التمهيد»

إن كتاب «التمهيد» لابن عبدالبر من أعظم الموسوعات الفقهية التي تعرض المسائل الفقهية بأدلتها من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال الفقهاء من التابعين ، ومن أدمن النظر أُتي علماً جماً ، قال الذهبي : قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وكان أحد المجتهدين ـ : ما رأيت من كتب الإسلام مثل «المحلى» لابن حزم ، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين . قلت : صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما : «السنن الكبير» ، ورابعها : «التمهيد» لابن عبد البر . فمن حصل هذه الدواوين ، وكان من أذكياء المفتين ، وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقاً (١٨/١٩٣ سير) . وقد قال ابن عبدالبر عن كتابه في كتابه :

سمير فؤادي من ثلاثين حجة
وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لهم فيه كلام نبيهم
لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به
إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

وقد كانت لي ـ من فضل الله ـ قراءة في التمهيد ، وقد أزعجني! ما رأيت في تحقيق المجلد السابع من تحقيق الغماري[1] وبعض تعليقاته ، والتي شوهت جمال الكتاب في تأويل بعض صفات الله فكان مني أن أنصح لأمتي بالتحذير من هذا . والله أسأل أن ينفعني بما كتبت ، وقلت : قال الذهبي : فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولا تقول إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول أنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها . قوله : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ الشورى : ١١ ، ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ الإخلاص : ٣ ، (سير

٢٨٤/١٨) .

وهذه الرسالة صغيرة في حجمها وأرجو أن يتقبلها ربي بقبول حسن وما كان من حق فمن الله وما كان فيها من نقص فمن نفسي والشيطان ، وسميتها «التسديد عن تعليقات الغماري في التمهيد» .

قال الغماري : لا يجوز إطلاق هذا في جانب الله تعالى ، لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ، وفي ترجمة ابن حبان من طبقات الشافعية : أن أبا إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي ؛ قال : سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان؟ قلت : رأيته؟ قال : وكيف لم أره؟! ونحن أخرجناه من سجستان ، فإن له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين قدم علينا فأنكر الحد لله ، فأخرجناه من سجستان . قال السبكي : انظر ما أجهل هذا الجارح وليت شعري من المجروح؟! مثبت الحد لله أو نافيه! وقال الحافظ العلائي تعليقاً على هذه الحكاية : يا لله العجب! من أحق بالإخراج والتبديع وقلة الدين؟ (ص١٤٢ تعليق ٥٠) .

قلت : قال الذهبي في السير في ترجمة ابن حبان في مورد هذه القصة ؛ قال : إنكاركم عليه بدعة أيضاً والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله ، ولا أتى نص بإثبات ذلك ، ولا نبغيه ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وتعالى الله أن يحدّ أو يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد ، ولا كيف ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ، (٩٧/١٦ ترجمة ابن حبان) .

وقال في موضع آخر من كتاب السير(٨٦/٢٠) عند ترجمته لأبي القاسم التيمي ؛ قال : وقد سئل رحمه الله : هل يجوز أن يقال : لله حد أو لا؟ وهل جرى هذا الخلاف في السلف؟ فأجاب : هذه مسألة أستعفي من الجواب عنها لغموضها ، وقلة وقوفي على غرض السائل منها .

لكني أشير إلى بعض ما بلغني ، تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شيء موضع بيونته عن غيره ، فإن كان غرض القائل ليس لله حد ؛ لا يحط علم الحقائق به ؛ فهو مصيب ، وإن كان غرضه بذلك : لا يحيط علمه تعالى نفسه ؛ فهو ضال ، أو كان غرضه الله تعالى بذاته في كل مكان فهو أيضاً ضال .

قال الذهبي : الصواب الكف عن إطلاق ذلك ، إذا لم يأت فيه نص ولو فرضنا أن المعنى صحيح ، فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلوب شيء من البدعة ، اللهم احفظ علينا إيماننا .

قال : روى الشيخان عن ابن مسعود ؛ قال : جاء رجل من أهل الكتاب ، وفي رواية حبر اليهود ، فقال : يا أبا القاسم! أبلغك أن الله عز وجل يحمل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والخلائق على إصبع ويقول : أنا الملك أنا الملك ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدتَ نواجذه ، ثم قال : **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** ، ويلاحظ أن المتكلم بالأصابع يهودي ، واليهود مجسمون ، وأن النبي ﷺ ضحك تعجباً من جهله وتلا الآية يوحي بتلاوتها إلى أن القبضة واليمين فيها معناهما القوة والاقتدار ، لا الكف ولا الأصابع . (ص٤٨ ت٦٤)

قلت : وفي توضيح ذلك قال الذهبي في (السير١٨/٢٤٨) : فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا نقول : إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ، ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** ، **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾** .

وذكر ابن خزيمة في كتابه التوحيد - (ص٥٣ ، دار الكتب العلمية ، باب ذكر إثبات الله الخالق البارئ جل وعلا) - قال : والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة .

قال ابن خزيمة : باب إثبات الأصابع لله عز وجل ثم ساق الأدلة على ذلك في كتاب التوحيد (ص٩٧) ، وكذلك في الرد على من أول اليد والأصابع بالقوة والقدرة .

قال ابن خزيمة في كتابه : جل ربنا على أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجل الله تعالى قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباري بحضرته بما

ليس هو من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدأ نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق رسالته .

قال : روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ، قال الحافظ في الفتح : وقع في هذا الموضع يكشف ربنا عن ساقه وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ، ثم قال في قوله عن ساقه نكرة ، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم بلفظ : «يكشف عن ساقه» ، قال الإسماعيلي : هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة ، لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء . اهـ . وحفص أقوى لأنه ثقة ، وسعيد صدق .

قلت : قال البيهقي في «الأسماء والصفات» : باب ما ذكر في الساق ثم ذكر الحديث السابق وذكر كذلك حديث رواه الإمام ومسلم وهو من رواية آدم بن أبي إياس مختصراً وقال في هذا الحديث : «يكشف ربنا عن ساقه» .

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

قال شيخ الإسلام (٣٥٩/٦) في الفتاوى حول تفسير قوله تعالى : **﴿يوم يكشف . . .﴾** قال : ومثل هذا لا ليس بتأويل ، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناه المعروف ، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاته له ، ثم يريدون حرفه عنه ويجعلون هذا تأويلاً .

قلت : فإثبات صفة الساق لله عز وجل الأدلة في هذا متظافرة متظاهرة ، ولا يلزم من إثبات الساق لله عز وجل تشبيهها بسوق المخلوقين تعالى الله عز وجل عن ذلك **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** فالإنسان له ساق والشجرة لها ساق والكلب له ساق ؛ فلا نشبه أحد ساق أحد . فكيف نشبه ونتمثل بعد ذلك تعالى الله عن ذلك ، وربما احتجنا إلى التأويل في هذه الآية

وهو كناية عن شدة الأمر ولا يعني ذلك نفي صفة الساق هذه عن الله عز وجل .

قال ابن عبدالبر : . . . وأنه يدخل في النار يده . . . قال الغماري : لم يأت ذلك أي حديث مرفوع مقطوع به .

قلت : بل قد ورد في حديث النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله . . . وذكر فيه : «فيقولن ربنا! قد أخرجنا من أمرتنا ، فلم يبق في النار أحد فيه خيرٌ . قال : ثم يقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون ، وبقي أرحم الراحمين . قال : فيقبض قبضة من النار ـ أو قال قبضتين ـ ناس لم يعملوا لله خيراً قط . . .» ، رواه الإمام البخاري (ح ٧٤٣٩) .

في ص١٥٠ ت٦٨ :

قال : لكن العقيدة لا يكفي فيها رواية الثقات ؛ بل لابد فيها من خبر يفيد التعليم .

قلت : هذه الشنشنة لا يدرى ما الذي يقصد منها ؛ فإن كانت الأخبار التي يستدل منها على حكم مستندة إلى السنة الصحيحة سواء كانت هذه السنة من طريق الآحاد أو من طريق التواتر ، ولا شك أن جلّ أحاديث العقيدة آحاد ـ أقول ـ إن كان هذا الحكم الذي يرد من . . . الطريقين فإنه لا ينظر هل يكتفى به رواية الثقات من عدمها إذا وردت السنة بصحة ذلك الخبر فتكون العقيدة المتلقاة عن رسول الله ﷺ وقد أفاد الظن التعييني فإنها تؤخذ ولا يرد عليها ما ذكر الغماري من استدراكه .

وإن كانت هذه الأخبار الواردة عن الله بواسطة رسول الله ﷺ والمبلغة لنا عن رواية الثقات فهي تفيد خبر التعيين فهذه مقولة صحيحة لكن . . . . . من المعنى المقصود ـ وهذا إحساناً منا الظن بالغماري ـ وإلا فإن هذا الكلام الصادر عن أبي عبيد القاسم بن سلام وهو بالمكان الذي يعرف له في علم الحديث لم يقل هذا اعتباطاً وإنما قاله لأنه قد تقرر عند علماء الحديث أن رواية الثقات مقبولة ومعمول بها ، قال ابن عبدالبر ٢/١ التمهيد : وقد أجمع المسلمون على جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد إذا استفتى فيما لا يعلمه ، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله ، وقد أفردت لذلك كتاباً موعياً كافياً[٢] والحمد لله .

قال شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى ٤١/١٨ : وخبر الواحد المتلقي القبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري .

وأنت كما ترى فإن الكلام متوجه إلى قبول خبر الواحد فكيف به برواية الثقات؟! هل تحتاج إلى تساؤل أنها تفيد التعيين أو لا تفيد .

ص١٤٩ ت٦٧ :

قال : لم يرد هذا مرفوعاً ، ولكنه كلام ابن عباس رواه بن خزيمة في كتاب التوحيد ، ومثل هذا لا يقبل إلا من المعصوم .

قلت : قال الذهبي في مختصر العلو : عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ، رواته ثقات ، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٥٨٢/٢ ط دار العاصمة . قال الألباني : وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

قلت : وهذا لا يقال بالرأي ولابد أن عند ابن عباس خبر من عند المصطفى ﷺ فكيف وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه حديث مرفوع؟!

الحواشي :

(١) هو عبدالله بن الصديق الغماري ، وقد رأيت للغماري في بعض تآليفه رأيته يحكم على حديث الجارية بالشذوذ ، رأيه غير صحيح . ولا أدري هل ينكر هذا الحديث أم أنه ينكر ذات الحكم وهو أن الله في السماء .

(٢) هو كتاب «الشواهد في إثبات خبر الواحد» قاله محقق المجلد الأول من التمهيد .

* * *

يقول تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[الكهف: ٢٨]

[دلّت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماماً للناس من امتلأ قلبه بمحبة اللّه، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر اللّه، واتبع مراضي ربه، فقدّمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه].

"تيسير الكريم الرحمن للسعدي" ـ رحمه الله تعالى ـ (ص٤٢٥)

الحلقة الثانية

بقلم الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مشارق الأنوار على صحاح الآثار

مشارق الأنوار على صحاح الآثار:

موضوعه : قال ابن خلّكان وهو يعدد مصنفات القاضي عياض المفيدة : «ومنها «مشارق الأنوار» وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة ، وهي : الموطأ والبخاري ومسلم»[١٣] . قلت : وموضوع كتابنا : هو تحقيق نصوص «الموطأ» و«الصحيحين» بالإضافة لتفسير غريب الحديث ، قال ابن فرحون : «وكتاب «مشارق الأنوار» في تفسير غريب حديث «الموطأ» والبخاري ومسلم ، وضبط الألفاظ ، والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات ، وضبط أسماء الرجال»[١٤] .

القاضي عياض يصف المشتغلين بالرواية في عصره:

وقد ألّف القاضي عياض هذا الكتاب ؛ لأنه رأى المتأخرين «قد تساهلوا في الأخذ والإدلاء ، حتى أوسعوه اختلالاً ، ولم يألوه خبالاً ، فتجد الشيخ المشهود بشأنه وثنائه ، المتكلف مشاق الرحلة للقائه ، تنتظم به المحافل ، ويتناول الأخذ عنه ما بين عالم وجاهل . وحضوره كعدمه ، إذ لا يحفظ حديثه ، ويتقن أداءه وتحمله ، ولا يمسك أصله ؛ فيعرف خطأه وخلله ، بل يمسك كتاب سواه ، بمن لعلّه لا يوثق بما يقوله ولا يراه . وربما كان مع الشيخ من يتحدث معه ، أو غدا مستغلاً نوماً أو مفكراً في شؤونه حتى لا يعقل ما سمعه ، ولعل الكتاب المقروء عليه لم يقرأه قط ، ولا علم ما فيه ، إلا في نوبته تلك ، وإنما يوجد سماعه عليه في حال صغره بخط أبيه ، أو غيره ، أو ناوله بعض متساهلي الشيوخ كتباً لا يعلم سوى ألقابها ، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق بما لا يعرف وهو طفل ، أو حبل حبلة لم يولد بعد ولم ينطق . ثم يستعار للشيخ كتاب بعض من عرف سماعه في شيوخه ، أو يشتريه من السوق ، ويكتفي

بأن يجد عليه أثر دعوى بمقابلته وتصحيحه ، والآخذون عن ذلك الشيخ يتساهلون كذلك ، فلا يضبطون ما يكتبون . وقد يتشاغلون أثناء السماع بمحادثة الجلساء ، وربما حضر مجلس الشيخ صبي لم يفهم بعد عامة كلام أمه ، فيعتدّون بصحة سماعه إذا كان قد أوفى أربعة أعوام . ويحتجون بحديث محمود بن الربيع الذي يقول فيه : «عقلت عن النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن أربع سنين»[١٥] ، وليس في عقل محمود هذه المجة حجة على عقله لكل شيء من أمره أو من حوله إلى غير ذلك من ألوان تساهل الآخذ والمأخوذ عنه» . ثم قال : «إن أكثر سماعات الناس في عصره وفي أزمان كثيرة من قبله كان بهذا السبيل وأنه لذلك كثر في الكتب التغيير والفساد . وشمل ذلك كثيراً من المتون والإسناد ، وشاع التحريف ، وذاع التصحيف»[١٦] .

أمثلة على التصحيف والتحريف من «مشارق الأنوار»:

نقلنا عن القاضي عياض أن التصحيف قد وقع كثيراً للمحدثين ، ومن الأمثلة التي ساقها في كتابه القيّم «مشارق الأنوار» تلك الرواية التي في الصحيحين وفيها : «فأنفجنا أرنباً فنفجت» أن أثارها الصحابة من مجثمها ، وثبت وعَدَت . تصحفت هذه الكلمة على أبي عبد الله المازري فرواها (بعجنا) أي شققنا بطنها ، واعتبر القاضي عياض هذا تصحيفاً قبيحاً ، لأنه تتمة الرواية أنهم سعوا عليها ، فلغبوا ؛ أي : تعبوا ، فسعى أحدهم وهو الراوي فأدركها ، فأتى بها أبا طلحة فذبحها . فلو كانوا قد أخذوها أولاً وشقوا بطنها لما سعوا بعد حتى يدركوها ويذبحوها ، وهذا من النظر الدقيق في نقد المتن عند القاضي عياض[١٧] .

ومن ذلك ما اتفقت عليه نسخ «صحيح مسلم» ، وهو قول الراوي : «كنت شاكياً بفارس ، فكنت أصلّي قاعداً ، فسألت عن ذلك عائشة رضي الله عنها . . .» .

اعتبر القاضي أبو الوليد الكناني قوله : (بفارس) وهماً ، لأن عائشة لم تكن بها ، بل الصواب (شاكياً نقارس) وهي أوجاع المفاصل[١٨] .

ومن ذلك أيضاً ما روي في باب جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف ، فإنه أمر بكل

صحيفة أو مصحف أن يحرق ، هكذا في رواية المروزي من الإحراق ، ورواه الجماعة (أن يخرّق) ، ووجد هذا الحرف غير منقوط في نسخة الأصيلي . يرى القاضي عياض أن رواية المروزي هي الصواب ، معتمداً على أن المرويّ هو أنها أحرقت بعد أن محيت بالماء ، ليذهب أثرها وعينها ، ويكون أصون لما عساه يبقى من رسوم الخط فيها ، أما مع التخريق والتمزيق فلا يكون ذلك ، بل تكون مطروحةً في غير مواضع الصيانة ، ويبقى الأشكال والداخلة ، وسبب الخلاف فيما عساه يفك من الحروف الباقية فيها[١٩] .

هذا قليلٌ من كثير ، مما تضمنه كتاب «مشارق الأنوار» للقاضي عياض ، وقد استقصى فيه بيان أوهام الرواة التي وقف عليها في الكتب الثلاثة وهي «الموطأ» للإمام مالك ، و«الصحيحان» للبخاري ومسلم ، وإذا كانت معظم تلك الأوهام مما وقع للرواة عن مخرجي تلك الصّحاح ؛ فإن القليل منها إنما وقع في نفس تلك الكتب ، إمّا من أصحابها ، أو ممن فوقهم من الرواة ، ومهما بلغ الراوي من الثقة وجلالة القدر فلا يضيره أبداً ما وقع له من الوهم في النادر من الأحيان ، وحسبه أنه بشر غير معصوم .

طريقة ترتيب الكتاب:

ذكر رحمه الله أنه رتب الكلمات التي عرض لها على ترتيب حروف المعجم ، ولم يكتفِ بترتيبها على ذلك بحسْب حرفها الأول فقط ، بل رتبها كذلك بحسب الحرف الثاني والثالث أيضاً ، وبدأ في أول كلّ حرف بالألفاظ الواقعة في متونه ، فأتقن ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها ، ولا يبقى بها إهمالٌ يبهمها ، فإن كان في اللفظ اختلاف نبّه عليه ، وبيّن الصواب من الخطأ ، وميّز الراجح من المرجوح بنص من سبقه من جهابذة العلماء أو باجتهاده وتحقيقه هو على غرار مناهج المتقدمين ، وذكر أنه ترجم فصلاً في كلّ حرف على ما وقع في الكتب الثلاثة ؛ من الأسماء التي يكثر تصحيف الرواة فيها ، ونبّه معها على أشباهها ، ثم يعطف على ما وقع في الإسناد من النصّ على مشكل الأسماء والألقاب والأنساب ، والكنى المبهمة ، ثم ذكر في آخر كلّ فصل ما جاء فيه من تصحيف ، ونبّه على صوابه ، وشرح ما دعت الضرورة إلى شرحه من غريب ألفاظ المتون دون نقصٍ أو اتساع ، لأنه لم

يضع كتابه لشرح اللغة ، ولا لتفسير المعاني ، بل وضعه لتقويم الألفاظ وإتقانها ، ثم ذكر رحمه الله أنه قد شذّت عن الأبواب نكتٌ غريبة ومهمّة لم تضبطها تراجمها لكونها جمل كلمات تضطر القارىء إلى معرفة ترتيبها وصحة تهذيبها ، إمّا لما دخلها من التغيير ، أو الإبهام ،أو التقديم ، أو التأخير ، أو أنه لا يفهم المراد بها إلاّ بعد تقديم إعراب كلماتها ، أو سقوط بعض ألفاظها ، أو تركه على جهة الاختصار ، ولا يفهم المراد إلاّ به ، فأفرد لها آخر الكتاب ثلاثة أبواب ؛ **أولها** : في الجمل التي وقع فيها التصحيف ، وطمس معناها التلفيف . **وثانيها** : في تقديم ضبط جمل في المتون والأسانيد ، وتصحيح إعرابها ، وتحقيق هجاء كتابتها ، وشكل كلماتها ، وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها ، ليستبين وجه صوابها ، وينفتح للأفهام مغلق أبوابها . **وثالثها** : في إلحاق ألفاظ سقطت من الأحاديث أو من بعض الروايات ، أو بترت اختصاراً أو اقتصاراً على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به ، لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها ، ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها .

أهمية الكتاب ، والاستغناء به عن الرحلة في طلب الحديث ، وحاجة طلاب العلم إليه :

قال أبو الفضل مبيّناً أهمية كتابه بعد وصفه له على النحو الذي ذكرناه : «فإذا كملت هذه الأغراض ، وصحّت تلك الأمراض ؛ رجوت ألاّ يبقى على طالب معرفة ـ الأصول المذكورة ـ إشكالٌ ، وإنه يستغني بما يجده في كتابنا هذا عن الرحلة لمتقني الرجال ، بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية ، أو يقتصر على درس أصلٍ مشهور الصحة ، أو يصحح به كتابه ، ويعتمد فيما أشكل عليه على ما هنا ؛ إن كان من طالبي التفقه والدراية ، فهو كتابٌ يحتاج إليه الشيخ الراوي ، كما يحتاج إليه الحافظ الواعي ، ويتدرج به المبتدي ، كما يتذكر به المنتهي ، ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد ، كما لا يستغني عنه راغب السماع والإسناد ، ويحتج به الأديب في مذاكرته ، كما يعتمد عليه المناظر في محاضرته»

ثناء العلماء على «مشارق الأنوار» واستفادتهم منه:

وصدق عياض فيما وصف به كتابه

العجيب في أنطار الأجيال ، كيف لا وقد قال ابن فرحون فيه : «وهو كتاب لو كتب بالذهب ، أو وزن بالجوهر ؛ لكان قليلاً في حقّه»[٢٠] .

وقد كان ابن الصلاح ينشد عند ذكره :

مشارق أنوار تبدّت بسبتة

وذا عجب كون المشارق بالغرب

ولا عجب ؛ فعياض في المشرق وفي المغرب ، وفي كل البلاد الإسلامية الأخرى جدير بأن يكون له ولكتبه المكانة المرموقة ، والصيت الذائع ، مع الإكبار والإجلال ، والتقدير والاحترام ، وأن يُخلّد ذكره ، وينشر فضله بين العالمين في كل مكان . وقال السّخاوي فيه : «هو أجلّ كتاب جمع فيه القاضي عياض بين ضبط الألفاظ ، واختلاف الروايات ، وبيان المعنى ؛ لكنّه خصّه بـ «الموطأ» و«الصحيحين» ، مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب»[٢١] . وقد استفاد ابن الصلاح كثيراً من كتاب «مشارق الأنوار» ، ويتضح هذا من كتابه «علوم الحديث» ، وخصوصاً في النوع الثالث والخمسين : «معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها» ، فقد صرّح فيه : «وأنا في بعضها مقلّدٌ كتاب القاضي عياض ، ومعتصم بالله فيه ، وفي جميع أمري»[٢٢] .

ومما يدلك على قيمة هذا الكتاب في نفس ابن الصلاح أنه نقل فوائد ـ مقلداً القاضي عياض في بعضها ـ وختمها بهذه الفائدة : «ليس في «الصحيحين» و«الموطأ» الهمذاني ـ بالذال المنقوطة ـ وجميع ما فيها على هذا الصورة فهو الهمداني ـ بالدال المهملة ـ وسكون الميم»[٢٣] . ثم قال : «هذه جملة لو رحل الطالب فيها لكانت رحلةً رابحةً إن شاء الله تعالى ، ويحقّ على الحديثيّ إيداعها في سويداء قلبه»[٢٤] .

وأخيراً . . . لا يسعنا إلا أن نردد مع القاضي عياض «وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدراية قدره ، ويوفيه أهل الأنصاف والديانة حقّه» ، ذلك لأن القاضي عياضاً نخّل فيه معلومه ، وبثّه مكتومه ، ورصعه بجواهر محفوظه ومفهومه ، وأودعه مصونات الصناديق والصدور ، وسمح فيه بمضمونات المشايخ والصدور ، وصنفه من منتقى النكت من خيار الخيار ، وأودعه غرائب الودائع

والأسرار ، وأطلعه شمساً يشرق شعاعها في سائر الأقطار ، وحرّره تحريراً تحار فيه العقول والأفكار ، وقربه تقريباً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ، وسمّاه بـ «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» .

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب طبع في جزئين في ضمن مجلّدٍ واحد ، سنة ألف وثلاث مئة وثلاثين من الهجرة ، نشر المكتبة العتيقة بتونس ، ودار التراث بمصر ، وطبعه عبد الحفيظ العلوي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٢٨هـ ، وطبع مرّة أخرى في المغرب سنة ١٤٠٢هـ ، بتحقيق السيد البلعمشي أحمد يكن . وقد اختصره ابن قرقول «ت ٥٦٩هـ» ، وسمّاه «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» ، ونظمه شمس الدين محمد بن محمد الموصلي[٢٥] «ت ٦٤٥هـ» الذي تجرّد له وأخرجه من المبيّضة ، لأن عياضاً مات وتركه كذلك .

ولا بد من تنبيهٍ أخير ؛ وهو : أن القاضي عياضاً ـ رحمه الله ـ ، لا يقصد من جمعه لأوهام الرواة التشكيك في جملة الروايات ، ولا أن يضع سلاحاً بيد أعداء السنة ، لكنه يبحث بحثاً علمياً موضوعياً للذبّ عن السنة من جانب ، ولعله يعطي الدليل العمليّ للطاعنين .

ثم إن علماء الحديث أغيرُ عليه وعلى ميزه ، وإن بحوثهم تقطع الطريق على أولئك المرجفين ، وهذا من جانب آخر ، وبهما يجمع الحسنيين .

الحواشي :

(١٣) «وفيات الأعيان (٥١١/٣) .

(١٤) «الديباج المذهب» (ص ١٧٠) ، وانظر «كشف الظنون» (١٦٨٧/٢) .

(١٥) الحديث رواه البخاري (٢٢/١) ، وانظر في هذه المسئلة «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص ٦) .

(١٦) «مشارق الأنوار» (٣/١) بتصرّف .

(١٧) «مشارق الأنوار» (٩٧/١) .

(١٨) «مشارق الأنوار» (٩٩/١) .

(١٩) «مشارق الأنوار» (١٨٩/١) .

(٢٠) «الديباج المذهب» (ص ١٧٠) .

(٢١) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٥٠/٣) .

(٢٢) «علوم الحديث» تحقيق العنز ، (ص ٣٢٣) .

(٢٣) انظر «مشارق الأنوار» (٢٧٦/٢) .

(٢٤) «علوم الحديث» (ص ٣٢٣) .

(٢٥) «ت ٧٧٤ هـ» ويرجع الفضل في حفظ هذا الكتاب إلى أبي عبدالله بن علي بن يوسف الأنصاري .

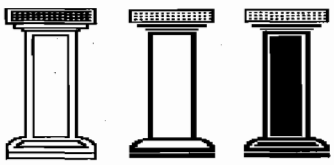

بقلم الشيخ سعد الحصيّن

رأي آخر في خطبة الجمعة

سبق أن كتبت تحت عنوان «رأي آخر» في أكثر من أمر لأؤكد أن ما أقوله مجرد رأي (بين آراء مختلفة) لا أدعي صوابه ولا أطمح إلى فرضه لو استطعت إلى ذلك سبيلاً .

ولكن ما أكتبه اليوم يتعلق بالعبادة ، وهي توقيفية مبنية على اليقين من نصوص الوحي وفقه علماء الأمة في هذه النصوص ، وقد حذرنا الله تعالى من القول في شرعه بما يمليه الظن والعاطفة وألزمنا اتباع الهدى : ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ .

وفيما يلي أعرض مقارنة موجزة بين واقع خطبة الجمعة اليوم وبين طريق الهدى في أمرها :

أ- أكثر خطباء المسلمين اليوم يعطلون المقصود الظاهر من مشروعية خطبة الجمعة ، ويحولونها إلى ملحق لنشرات الأخبار مبنيّ على الظن والفكر ، وخطبة الجمعة عبادة وجزء من الصلاة لا تقوم الصلاة إلا بها ـ في رأي غالبية الفقهاء ـ وإذن فلابد من الرجوع في أمرها إلى الوحي واليقين وتقييدها بسنة رسول الله ﷺ .

ويزيد انحراف كثير من خطباء اليوم فتتحول خطبهم إلى إثارة للفتنة بين الراعي والرعية بالتهييج والمبالغة والغيبة والبهتان لا يستقيم معها حال دينية ولا دنيوية في مخالفة صريحة للسياسة الشرعية من الأحاديث الصحيحة في التحذير من الفتنة .

وأكثر المسلمين لا يحضرون من دروس الدين غير خطبة الجمعة ، فإذا تحولت من العلم الشرعي إلى الفكر ومن الإصلاح إلى الإفساد ، فقدوا الفرصة الوحيدة التي أنعم الله بها عليهم لبيان ما يجب أن يعلموه من دينهم وللاجتماع على الخير والتعاون على البر والتقوى .

ب- وكانت خطب رسول الله ﷺ

وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية : الإيمان والموت والحساب والجنة والنار ، وتعليم الأحكام الشرعية في العقيدة والعبادة والمعاملة ، والدعاء ، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله .

ولم تتضمن خطبة واحدة من خطب النبي ﷺ يوم الجمعة ولا خطب خلفائه وصحابته ، ولا خطب الأئمة في القرون الثلاثة شيئاً عن الحوادث والطوارئ على عظم ما مرّ بهم منها ، ولا عن الغزوات ولا الهجرة ولا الإسراء والمعراج ولا المولد ، ولا احتفل بمناسبتها يوم ذكراها بالكلام عنها في الخطبة . كلُّ ذلك من ابتداع خطباء القرن الأخير ، ومفكروه ، لم يكن ذلك من هدي القدوة من هذه الأمة حتى احتل الفكر الإسلامي مكان العلم الشرعي واحتل المفكرون الإسلاميون مكان أئمة العلم الشرعي .

ج- وإذا أكدت أن العبادة لا تثبت ولا تصح إلا وفق النصوص المعصومة ؛ فهذا ما يحضرني منها :

١- قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذي آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ ، والذكر في اللغة والشرع : الصلاة والطاعة وقراءة القرآن وتسبيح الله وتمجيده والثناء عليه . (يمكن الرجوع إلى تاج العروس وإلى التفاسير) .

٢- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً ، يقرأ القرآن ويذكّر الناس . رواه مسلم .

٣- وعن أبي وائل رضي الله عنه ، عن عمار رضي الله عنه ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة» رواه مسلم .

٤- وعن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها ؛ قالت : لقد كان تنّورنا وتنّور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة ، ما أخذت ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس . رواه مسلم .

٥- ومن حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول : «بعثت أنا والساعة كهاتين» ، ويقرن بين

أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : «أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ؛ وكل بدعة ضلالة» ، ثم يقول : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي» .

٦- وثبت من عدة طرق عن عدد من كبار الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطب بها ويعلمها أصحابه : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ثم يتلو آيات الأمر بالتقوى من سورة آل عمران والنساء والأحزاب .

د- ومما يحضرني من أقوال فقهاء الأمة في بيان النصوص ما يلي :

١- قال الشافعي رحمه الله (الأم ١/٢٠٣) : وأحب أن يخطب الإمام بحمد الله ، والصلاة على رسوله ﷺ والعظة والقراءة ، ولا يزيد على ذلك .

٢- وقال النووي الشافعي رحمه الله (المجموع ٤/٣٤٩) : ومقصود الخطبة الوعظ .

وكانت خطب رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية: الإيمان والموت والحساب والجنة والنار، وتعليم الأحكام الشرعية في العقيدة والعبادة والمعاملة، والدعاء، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله.

٣- وقال الكاساني الحنفي رحمه الله (بدائع الصنائع ١/٢٦٣) : روي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : ينبغي أن يخطب الإمام خطبة خفيفة يفتتح بها بحمد الله تعالى ويثني عليه ويتشهد ويصلي على النبي ﷺ ويعظ ويذكّر ويقرأ سورة ، ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى : يحمد الله تعالى ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ ويدعو للمؤمنين والمؤمنات .

٤- وقال القرطبي المالكي رحمه الله (الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٠٧) : ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين

والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله .

٥- وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله (المغني ٣٠٤/٢) نقلاً عن الخرقي رحمه الله : فحمد الله أثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقرأ ووعظ ، وقال (٣٠٥/٢) : وقال القاضي : تجب الموعظة في الخطبتين لأنها المقصود من الخطبة فلم يجز الإخلال بها .

٦- وقال ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد محقق ٤٢٣/١) عن خطب رسول الله ﷺ يوم الجمعة : إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وذكر الجنة والنار وما أعدّ الله لأعدائه وأهل معصيته .

وقال رحمه الله (٤٢٤/١) :

ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان بالكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره.

٧- وقال الصنعاني رحمه الله (سبل السلام ٤٩/٢) : وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم ، ويذكر معالم الشرائع في الخطبة ، والجنة والنار والمعاد ، ويأمر بتقوى الله ويحذر من غضبه ويرغب في موجبات رضاه .

وقال رحمه الله (٥٠/٢) : وكانت محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ﴿ق﴾ ؛ اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير ، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة .

٨- وقال سيد سابق (فقه السنة ٣٠٩/١) : وفي الروضة الندية : ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت .

خاتمة:

وليس في نصوص الوحي ولا فقه أئمة القرون المفضلة لها ما يجيز الاعتداء على منهج النبوة - في هذه العبادة العظيمة - والانحراف عنها ، قال الله تعالى : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد .

بقلم الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره

نعم.. غرباء الزمان والمكان.. ولكن طوبى لهم

طاف بالناس في أيامنا هذه طائف سوء، وافاهم بعد انقطاع دام قروناً، تسلل إليهم من خلال وهنها، لائذاً بمكر أهل الصانعيه، وقد أرخى عليه ظلام القرون الأفكة ذيوله، وتبدّى لهم في صور مختلفة، وأشكال متعددة، وتدافعت هذه الأشكال وتلك الصور في إئتلاف وثيق، كلما غابت منها واحدة خلفتها واحدة من ورائها في غير ضجيج ولا تباين، حتى ليخال للمرء أن يداً صناعاً حذقتها، براوراً بوعد منها للشيطان، وآمنت بالذي دلاهم إليه بغروره، وشر تبريره، حتى إذا ما أتاهم هذا الطائف، وانتهى إليهم، طاف بهم طوف خبير، عارف بمداخل القلوب والعقول، يبحث عن مكان سهل لا يشق عليه النفاذ منه إلى عقولهم وقلوبهم، ليفسد عليهم دينهم، وعقيدتهم، فما أيسر ما وجده، بل وجد كثيراً منها يختار منها ما يشاء في غير جهد، ولا تريث أو اصطبار والأمة قد غرقت في لجة الضياع، وضربت في تيه الفرقة، وباتت على شوك أدمى جنوبها، وانتهت بها أسباب الشر إلى ذلّة، ضربت عليها طنبها، وأرخت عليها سجفها، فما تغني عنها إلا ذلة مثلها، أو شر منها، ولو كانت ذلة واحدة لهانت، ولكنها ثانية، وثالثة، ورابعة، وكأنما هي عيون ثرّة، ماؤها ملح أجاج، ينبجس من صخر أصم أسود، التقت على صعيد واحد، وركبت الناس أهواء، تلقم عقولهم فتناً، وقلوبهم إحناً، وصدورهم شحناء، وتمعن في ليّ حبالها حول أعناقهم، وتجتالهم في طواعية عن موارد عزتهم التي كانوا عليها وهم صاغرون، بفتنة جائحة غشوم، أنبأناها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فيما أخرجه لنا، الشيخان:

قال حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا

رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها؛ قذفوه فيها قلت: يا رسول الله، صفهم لنا! قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا» وبين الفينة والفينة يطلع علينا نفر ممن وصفهم لنا رسول الله ﷺ، جذوع فتنة وفسائل شر، لا يجدر بمن يعرفهم أن يسكت عنهم، أو يتركهم من غير أن يحذر الناس منهم ولست والله ممن يعزفون على وتر فتنة، أو يردون أعناق الناس بأقلامهم عن أمر فيه خير لهم فمن لا يحب الخير، ويكره الشر للناس؛ فليس بمؤمن وقد كنت أوثر الإمساك عن القول في أمر قلت فيه من قبل، والإعراض عن الدفاع عن أعراض جماعة من المؤمنين استباحها من ارتضى لنفسه ذلك، والطعن على عقيدتهم، والنيل من سلوكهم وأعمالهم ـ فالله كافيهم وهو حسيبهم ـ!!! لولا ما كان يراد به الاستعداء، أو زيادة الاستعداء على طوائف من المسلمين، ذنبهم أنهم كرهوا ما تجري به لهوات شياطين الإنس، أو تخبر به صنائع أيديهم، وحواسهم، من أهواء جانحة عن صواب الحق، وحق الصواب، وأحبوا ما أنزل الله على نبيه عليه السلام من الوحيين العظيمين؛ فاستمسكوا بهما، وبالذي هو خير، فهل يكون حظهم عنده من الإنصاف الاستعداء عليهم، والوقيعة بهم، والطعن على ما ألزموا أنفسهم من الحق؟!

حتى قال قائل: «إنه هاجر إلى أحمد بن حنبل، وابن تيمية، ومن سار على دربهما في زماننا، محدث في الشام، ونظير له في الجزيرة العربية». وإني لأقسم غير حانث أن القائل لو جلس إلى واحد من هذين ساعة من نهار، لأغنته عن قراءة مئة كتاب ـ إن وسعته القراءة ـ من الكتب التي لا يحسن مؤلفوها إلا رصف الألفاظ، وتجميع الأقوال من غير دليل على صواب هذا القول، أو خطأ ذاك.

لأنه لن يجد في هدي رسول الله ﷺ كله، وسلوكه العلمي جميعه، نقصاً يحتاج إلى إتمام، أو خللاً يحتاج

إلى إصلاح؟! المعصوم فيما ينقل من وحي عن ربه لأمته .

والله يقول : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ . . .﴾

والاتباع لا يتخيّر تخيّراً ، فما وافق الهوى ، ومالت إليه النفس فهو الحق ، وما لم يوافق الهوى وتمل إليه النفس فهو الباطل ، ومن لم يجد عنده القدرة على الاتباع الذي فسره لنا سلوك الصحابة العملي ، فخير له أن يمسك عن التخوض بالباطل في أعراض الناس ، وأعراض المؤمنين محرمة كحرمة دمائهم ، وأموالهم ، وليذكر في نفسه قول الرسول عليه السلام : «من رغب عن سنتي فليس مني» ، والعاجز لا ينبغي أن يلقي بعجزه على الآخرين ، وينسب إليهم ما ليس فيهم ولا منهم ، فهذا ظلم والظلم ظلمات يوم القيامة ، والله لا يحب الظالمين .

قال حذيفة: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها؛ قذفوه فيها قلت: يا رسول الله، صفهم لنا! قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

ثم أيدري لماذا آثر هؤلاء منهج ابن تيمية رحمه الله؟ أنه المنهج الجامع للمنهج العلمي الذي تأسست عليه مذاهب الأئمة الأربعة ، ومن كان مثلهم رحمهم الله جميعاً ، وهؤلاء هم ورثة القرون المفضلة التي أثنى عليها رسول الله عليه السلام ، وليس يضيرهم أن يأتي أناس من بعدهم يحملون العلم الذي حملوا ، ويزيدوا عليه ، بما انتهى إليهم من علم ورّثه رسول الله عليه

السلام أمته لأن الله عزّ وجلّ لم يتعبدنا إلا بالوحيين - ولن يتفرقا حتى يردا على النبي الحوض يوم القيامة - «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء المهديّين الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» .

والله سبحانه لم يكلف عباده ما لا يطيقون ، ولم يتعبدهم بما لا يستطيعون ؛ ﴿فَاتَّقُوْا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . فإن يفعل هؤلاء شيئاً علموه عن رسول الله ؛ خير ألف ألف مرة من الذي يعلم ولا يعمل ، أو لا يعلم ثم يعمل ظنّاً منه أنه يعلم ما لا يعلم ، والله سبحانه يحاسب الناس يوم القيامة بكل أعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ﴾ ولا أظنّ زماننا هذا بأفضل من زمان عبد الله بن مسعود الذي قال : «نحن في زمان من عمل فيه بمعشار ما أمر به هلك ، وسيأتي زمان من يعمل فيه بمعشار ما أمر به نجا» فهنيئاً لمن يعمل في هذا الزمان بمعشار ما صحّ عن رسول الله ﷺ .

وبعد ؛ فإن السلفية ليست مذهباً سياسياً ، ولا تجمعاً حزبياً ، ولا ائتلافاً غوغائياً ، ولا مربداً شعرياً ، ولا نظاماً حكومياً ، ولا قيداً يوثق به عقول الناس ، ولا غلاً تشد به أعناقهم إلى أيديهم وأرجلهم ، ولا تحركاً ثورياً ، بل السلفية منهج القرون المفضلة الثلاثة الأولى ، بكل ما فيها ، التي أثنى عليها نبيّنا بقوله : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» وكفى!!

* * *

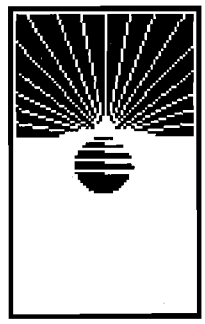

الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني

كل بدعة ضلالة

فمما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين قاطبة : أن الإسلام قام على أصلين عظيمين وقاعدتين كبيرتين ألا وهما : توحيد الله تبارك وتعالى بالعباد وإفراد النبي ﷺ بالاتباع والقدوة .

والذي أريد البحث فيه إنما هو في الأصل : أنه لا يتم إيمان امرئ مسلم إلا بالإيمان بأن محمداً رسول الله ، وأن إنساناً ما على وجه الأرض لو شهد لله عز وجل بالوحدانية بمعانيها الثلاثة فلا يكون مؤمناً إلا إذا ضم إلى ذلك إيمانه بأن محمداً عبده ورسوله ، وإذ الأمر كذلك فكما ينبغي لكل مسلم أن يتعلم معنى الكلمة الطيبة ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ ويجب عليه أن يتعرف على حقيقة معناها ؛ أمران اثنان : الإيمان بها أولاً ، ثم تحقيقها في نفسه وفي عبادته وفي عقيدته بالله ثانياً .

كذلك يجب على كل مسلم أن يعرف معنى أن محمداً عبده ورسوله ، هذه الشهادة المتممة للشهادة الأولى ، ولذلك فإنها لا تتم إلا إذا آمن المسلم بهذه الشهادة عن معرفة وإيمان واعتقاد جازم أولاً ، ثم طبق ذلك في منطلقه في حياته ثانياً ؛ فقولنا : أشهد أن محمداً عبده ورسوله يستلزم في جملة ما يستلزم الإيمان بأن محمداً بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة بتمامها وكمالها بحيث أن لم يدع لمن بعده مهما سما وعلا أن يستدرك عليه شيئاً ما ؛ كما أشار ربنا عز وجل إلى هذه الحقيقة بقوله تبارك وتعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ ؛ من أجل ذلك صح عن النبي ﷺ من طرق متعددة أنه قال : «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله ويبعدكم عن النار إلا وأمرتكم به ، وما تركت شيئاً يقربكم إلى النار ويبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه» ، لم يبق ثمة مجالٌ لاستدراكه مهما كان هذا الأمر المستدرَك سهلاً أو قليلاً .

من أجل ذلك جاء عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه قال : «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، اقرؤوا قول الله تبارك وتعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ ، قال مالك رحمه الله : ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً» .

هذا من فقه الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة ؛ حيث صرح بلسان عربي مبين أن من ابتدع في الإسلام بدعة واحدة ، وزعم أنها حسنة ؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، ومن زعم هذا الزعم فلم يؤمن بأن محمداً عبده ورسوله ، كما هو واضح جداً من كلام هذا الإمام الجليل لا يكون اليوم ديناً .

فليس على المسلم إلا أن يحقق اتباعه للنبي

ﷺ حتى يكون صادقاً بأن محمداً رسول الله عبده ورسوله ، وأنه جاءنا برسالة كاملة وافية لا شطط فيها ولا وقص ، إذا كان الأمر كذلك فينبغي على كل مسلم أن يعرف قدره وأن يقف عند ما حدَّه له نبيه ﷺ من العبادات والطاعات فقد جفَّ القلم بما سبق من الشرع ، ولم يبق هناك مجال لاستحسان عبادة لم تكن فيما مضى من الزمن الأول ، على ذلك جرى سلفنا الصالح رضي الله عنهم عارفين بقدر النبي ﷺ من حيث أنه : أولاً أدى الرسالة وبلغ الأمانة كما عرفتم ، وأنه أعبد عباد الله ، وأشدُّهم وأخشاهم لله عز وجل فلا مجال للاستدراك عليه :

أولاً : من الناحية التشريعية ؛ كما سمعتم الآية ، وفي تعليق الإمام مالك عليها .

وثانياً : من حيث ادعاء أن هناك من هو أعبد من رسول الله ﷺ ، هذا أمر يستحيل .

فمن عرف هاتين الحقيقتين المتعلقتين بإيمانه بأن محمداً عبده ورسوله ، اقتصر في عبادته لله تبارك وتعالى على ما جاءه من النبي ﷺ ولم يضع بين يديه قدوة سوى النبي ﷺ ، وفي تأييد هذه الناحية الثانية ؛ أي أن النبي ﷺ لا يمكن أن يسبق إلى ذهن مؤمن أنه أتقى لله ، وأخشى لله ، وأعبد لله منه ، هذا أمر يستحيل .

نذكر ما جاء في «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : أن رهطاً جاؤوا إلى النبي ﷺ فسألوا نساءه حيث لم يجدوه هو نفسه عليه السلام ، سألوهن عن عبادته؟ عن قيامه في الليل؟ وعن صيامه في النهار؟ وعن إتيانه للنساء؟ فذكرن لهم ما يعلمن ذلك من هديه عليه السلام والهدي هذا خير هدي على وجه الأرض ـ كما في خطبة الحاجه «وخير الهدي هدي محمد ﷺ» ـ ذكرن لهم أنه عليه الصلاة والسلام : كان يصوم ويفطر ، وكان يقوم الليل وينام ، وكان يتزوج النساء .

قال أنس : لما سمعوا ذلك من نساء النبي ﷺ تقالّوها ـ أي وجدوا عبادته ﷺ قليلة ؛ تقالوها بناءاً على ما كان قد قام في أذهانهم أن النبي ﷺ لابد أن يقوم الليل كله ، وأن يصوم الدهر كله ، وأن يكون راهباً لا يقرب نساءه ؛ ففوجئوا بما لم يكن في خاطرهم ؛ فعللوا ذلك بأن رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكأنهم يقولون : أن النبي ﷺ إنما اقتصر على هذه العبادة التي تقالّوها لأن الله قد غفر له ، فلم يبق لديه وازعٌ يحمله على أن يكثر من عبادة ربه عز وجل ، هذا خطأ منهم ولا شك ؛ لأنهم لم يعلموا أن تلك العبادة التي تقالّوها كانت عبادة لا يستطيعها أعبد البشر حتى ولو كان داود عليه الصلاة والسلام الذي صح في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : «كان داود أعبد البشر» ، لم يعلم هؤلاء الرهط أن النبي ﷺ في تلك العبادة كان أعبد الناس ، وكانت عبادته لا يستطيعها أعبد الناس كما ذكرت ، وذلك مما استدعى أنه سئل وقيل له عليه الصلاة والسلام لما وجدوه ـ وجده العارفون بعادته وليس أولئك الرهط الجاهلون بعادته ـ العارفون بعبادته عليه الصلاة والسلام أشفقوا عليه لأنهم رأوه قد قام حتى تفطرت قدماه ، فقالوا له : يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ـ أي يعنون : اشفق يا رسول الله بنفسك ، ارفق بها فقد تعبت وتشققت قدماك ـ فكان جوابه عليه السلام : «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» .

هذا ردٌّ للتعليل الفاسد الذي صدر من أولئك الرهط حيث عللوا قلة عبادته ﷺ بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخرت لم يعلموا أن النبي قد قام حتى تشققت قدماه ، فلما قيل له ما سبق قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ، بناءً على ما

توهموا من قلة عبادة النبي ﷺ وما علموا من أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قام في نفس كل واحد من أولئك الرهط أنه يجب على كل واحد منهم أن يبالغ في العبادة؛ وأن يزيد على ما سمع من عبادة النبي ﷺ من صيامه وقيامه وقربانه لنسائه، فتعاهدوا بينهم على ما يأتي: أما أحدهم فقال: إني أقوم الليل ولا أنام، وقال الثاني: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، أما الثالث فقال: إني لا أتزوج النساء.

لماذا؟ لأنهم ظنوا أن التزوج بالنساء مشغلة وصارف عن تمام العبادة لله عز وجل، ولم يعلموا - ويبدو لي - والله أعلم - أن هذا الرهط كان حديث عهد بالإسلام لم يتفقهوا بعد في شرائع الإسلام وأحكامه، أن الزواج عبادة كما جاء في الحديث المعروف: لما جاءه الفقراء وقالوا له: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأموال والأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويحجون كما نحج، ويتصدقون ولا نتصدق، فقال لهم عليه الصلاة والسلام مواسياً: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم من قبلكم ولم يدركُم من بعدكم إلا من فعل مثلكم»، فعاد رسول الفقراء إلى أصحابه الفقراء فبشرهم بهذه البشارة التي صدرت من النبي ﷺ ففرحوا بها كثيراً، ولكنهم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى عاد رسولهم إلى رسول الله ﷺ ليقول له عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله! لقد بلغ الأغنياء ما قلت لنا ففعلوا مثل ما فعلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، هذه رواية الإمام مسلم في «صحيحه»، وفي رواية أخرى في حديث آخر: أن النبي ﷺ قال لهم: «إن لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة

إن قاعدة التعليم والتذكير قائمة على أساس الستر على الناس إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك، وعلى هذه القاعدة جرى الرسول ﷺ حينما خطب فيما يتعلق بالرهط؛ قال وقد كنى عنهم ولم يسم أحداً منهم: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا».

وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وما زال رسول الله ﷺ يعدُّ كثيراً من مكارم الأخلاق، ثم قال في ختام الحديث: وفي «بضع أحدكم صدقة»، قالوا مستغربين: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته وله عليها أجر؟ قال: «أرأيت إن وضعها في الحرام أليس يكون عليه وزر؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «كذلك إذا وضعها في الحلال كان له عليها أجر»، فخفي مثل هذا الحديث وغيره مما جاء في باب الحض على التزاوج وبخاصة على الصبر على الأولاد والنسل، كما جاء في الحديث الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الولود الودود فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»، فالذي يتزوج ويحصن نفسه ويحصن زوجه فله على ذلك أجر جهل هذا أولئك الرهط فكان من أحدهم أن نذر على نفسه ما سبق ذكره، قال: أما أنا فلا أتزوج النساء، وانطلقوا ثم لما رجع النبي ﷺ وذكرت له ما سمعت من أولئك الرهط مما تعاهدوا بينهم، خطب الرسول عليه السلام في مسجده فقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا - يعيد عليه الصلاة والسلام على مسامع الحاضرين ما قاله كل فرد منهم؛ هذا الأخير لا يتزوج النساء، والثاني قال أنا أصوم الدهر ولا أفطر وذاك قال أقوم الليل ولا أنام، لكنه عليه الصلاة والسلام كان من

أدبه في موعظته للناس ومن تأديبه للناس وتعليمه للناس أن يستر على الخاطئين أو المخطئين فلا يفضحهم فيقول كما سمعتم : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا ، لأنه لا فائدة من ذكر المخطئ إلا إذا كان خطؤه على ملإٍ من الناس وهو حاضر ، فإذا انصرف الناس وانصرف هو فات تذكير الناس بخطئه ، فهو في هذه الحالة لابدَّ من التذكير علناً وليس كما يتوهم ، ولو أنني استطردت شيئاً قليلاً ليس كما يتوهم بعض الناس من الذين يعرفون الحكمة والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنهم قد فاتهم أن الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافي المصارحة بانتقاد المخطئ إذا كان خطؤه على ملإٍ من الناس ، وسيرة سلفنا الصالح ممتلئة والحمد لله بكثير من الشواهد ، وحسبي أن أذكركم بما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب كان يخطب يوم جمعة طبعاً في مسجد الرسول ﷺ ، لما دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ - وفي رواية أنه عثمان بن عفان - فقطع عمر خطبته وتوجه إلى هذا المتأخر عن التبكير للحضور لسماع الذكر وسماع خطبة يوم الجمعة ، فأجاب بأنه : يا أمير المؤمنين ، لم يكن مني إلا أن سمعت الأذان فتوضأت وجئت إلى المسجد ، فقال له منكراً بالاستفهام الاستنكاري : الوضوء أيضاً وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أتى منكم الجمعة فليغتسل» .

الشاهد من هذا إنه أنكر على عثمان بن عفان علناً على رؤوس الأشهاد ؛ لأنه تأخر عن الحضور إلى صلاة الجمعة وخطبة الجمعة إذاً ، إن قاعدة التعليم والتذكير قائمة على أساس الستر على الناس إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك ، وعلى هذه القاعدة جرى الرسول ﷺ حينما خطب فيما يتعلق بالرهط ؛ قال وقد كنى عنهم ولم يسم أحداً منهم : «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا» الشاهد أن النبي ﷺ قال : «أما إني» ؛ هذا رد في صميم ما قالوا معللين قلة عبادته عليه السلام : أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . «أما إني أخشاكم لله وأتقاكم لله ، أما إني أصوم وأفطر ؛ أي : لا أصوم الدهر وأقوم الليل وأنام ؛ أي : لا أحيي الليل كله كما يفعل بعض الغلاة المتعبدين الزائدين المستدركين على عبادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك قالت السيدة عائشة كما في صحيح مسلم : وما أحيا النبي ﷺ ليلة بتمامها ، فقال ﷺ مذكراً بأن الشرع وسط والعبادة وسط لا إفراط ولا تفريط : «أما إني أخشاكم لله وأتقاكم لله ، أما إني أصوم وأفطر وأقوم الليل وأنام وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

إذاً سنة النبي ﷺ فيما جاءنا من الإسلام هو الذي يجب على كل المسلمين أن يلتزموها وأنا ضامن على أن داود عليه الصلاة والسلام الذي كان أعبد البشر بشهادة رسول الله لو كان بعد بعثة الرسول ﷺ بهذا الإسلام الكامل التام لم يستطع أن يحيط عملاً بكل عبادات الرسول ؛ أي : بكل العبادات التي جاء بها الرسول ﷺ بقوله أو بفعله أو تقريره من أجل ذلك لم يبق هناك مجال لأحد من المسلمين أن يستدرك عبادة بعد أن أكمل الله عز وجل دينه بإرساله للنبي ﷺ بهذا الإسلام كاملاً .

وبعد أن عرفنا أن النبي ﷺ هو أعبد الناس وأتقاهم وأخشاهم فليس هناك إلا اتباع الرسول ﷺ ، ونحن على يقين أننا لن نستطيع أن ندندن حول عبادة النبي ﷺ إلا لماماً وإلا وقتاً يسيراً ولا فنحن عاجزون تماماً عن أن نتأثر وأن نتتبع خطوات

الرسول في عبادته ، هذا مستحيل بالنسبة لكل أفراد البشر من بعد النبي ﷺ ، ولذلك فلم يبق أمامنا إلا أن نحرص كل الحرص على شيئين اثنين .

الأول : أن نتعلم سنة النبي ﷺ في كل ما جاءنا من الإسلام في العقيدة أو في العبادة أو في السلوك والأخلاق ، ولن نستطيع كما قلت لكم إلا أن نتشبه به عليه الصلاة والسلام . وكما قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

ليس لنا أن نتشبه بأحد من البشر إلا به ﷺ ، لأنه أكمل البشر اتفاقاً ، وكل من تشبه به بعده فهو إنما يغترف من بحر عبادته ﷺ .

هذا هو الأمر الأول : أن نتعلم سنة الرسول عليه السلام بالمعنى الواسع لأن قول النبي ﷺ في حديث أنس حول الرهط : «فمن رغب عن سنتي فليس مني» ، لا يعني بهذه الجملة من هذا الحديث العام ترك السنن الرواتب مثلاً فهو ليس مني ، ليس هذا هو معنى الحديث ، وإنما معنى الحديث : من رغب عن سنتي ؛ أي عن طريقي ، وعن سلوكي ، وعن منهجي في كل حياتي الدينية ؛ فهذا هو الذي ليس منه عليه السلام وذلك يختلف بنسبة ابتعاده عن الاقتداء بنبيه ﷺ . فالسنة لها معنيان :

أحدهما : لغة عربية شرعية ، وهو ما كان عليه الرسول ﷺ ومن سار بسيرته .

والمعنى الثاني : ما جرى عليه عُرف الفقهاء من تقسيم العبادات إلى فرض وسنة والسنة في تعريفهم ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، أما الذي يترك سنة الرسول بالمعنى الأول ؛ أي : طريقته ومنهجه ؛ فهذا يكون في ضلال ، وضلاله يكون كثيراً أو قليلاً ، على نسبة بعده عن اقتدائه بسنته عليه السلام وقربه . عندئذ سنجد أنفسنا أننا لسنا بحاجة إلى أن نستدرك أن نسن بدعة حسنة في الإسلام ، بزعم أن هذه البدعة لا شيء فيها ، لأننا سنجد أنفسنا قاصرين وعاجزين عن الاقتداء بالنبي الكريم في كل ما جاءنا من العبادات سواء ما كان منها متعلقاً بالأدعية أو الأذكار أو الصلوات فحسبنا أن نقتدي به عليه الصلاة والسلام ، بقدر استطاعتنا ، وهنا أذكركم بما أخرجه البخاري في «صحيحه» لتعرفوا قيمة قوله قال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

روى البخاري : أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب في خلافته فقال له : يا أمير المؤمنين! آية في كتاب الله لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا يوم نزولها عيداً ، قال رضي الله عنه : ما هذه الآية؟ فذكر هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم . . .﴾ آخرها ؛ فقال عمر : لقد نزلت في يوم العيد في يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في عرفات ؛ أي في حجة الوداع ، فقد نزلت هذه الآية في يوم عظيم جداً ، اجتمع فيه فضيلتان وعيدان عيد الجمعة وعيد عرفة .

لماذا قال اليهودي : لو أن هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيداً ؛ لأنه عرف عظمة هذه النعمة ، التي امتن الله تبارك وتعالى بها على عباده أما نحن المسلمين اليوم ؛ فإننا مع الأسف الشديد لم نقدر هذه النعمة حق قدرها ، ولذلك تجد كثيراً من الناس قديماً في العصور المتأخرة قد شغلوا المسلمين بكثير من الصلوات والأذكار والأوراد لم يأت بها النبي ﷺ وفيما جاء به عليه السلام كفاية وغنية بل وزيادة على طاقتنا نحن البشر ، وإنما كل منا يأخذ من هذه العبادة ما يستطيع وما يناسب قدرته وطاقته .

الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز

● إذا سبّ شخص الرسول ﷺ ، أو استهزأ بالدين وشعائره بالدعاة إلى الله ، فهل يكفر ، وهل يجوز للمسلمين قتله؟ أم أن ذلك من واجب الحكومات؟

■ الشيخ ابن باز : إذا سبّ الدين أو سبّ الرسول يكون كافراً وينصح ويوجه إلى التوبة ، ومن تاب تاب الله عليه ، وإذا كان في دولة إسلامية فأمره إلى ولي الأمر ، فإذا تاب ورجع فلا حاجة إلى ذلك ، والواجب أن نوجهه وننصحه ونرشده إلى الخير ونخبره أن ما فعله ردّة ، فإذا تاب وأناب ،استقام على دين الله ، فلا حاجة إلى غير ذلك ، أما إذا أصر على باطله وجب أن يرفع إلى ولي الأمر حتى يقيم عليه حدّ الله ، أو أمير البلدة التي يوجد بها هذا المجرم ، أما الإخوة فعليهم النصح والتوجيه حتى يهديه الله .

● برزت ظاهرة عند كثير من الناس وهي التجمع والتجمهر ، والخروج للمسيرات ،المظاهرات كنوع من إنكار المنكر ، فما رأيكم في ذلك؟

■ الشيخ ابن باز : الخروج في المظاهرات والمسيرات ليس طيباً ، وليس من عادة أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعه بإحسان ، إنما النصيحة والتوجيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، هذه هي الطريقة المتبعة . قال الله عزّ وجل : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وقال رسول الله ﷺ : «من رأى منك منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان» . فالإنكار بالفعل يكون من الإمام أو الأمير ، أو من الهيئة التي لها تعليمات ، أما أفراد الناس إذا أنكروا باليد فتكون الفتنة والنزاع ، والفرقة والابتلاء وتضييع الفائدة ، فيجب على كل شخص أن ينصح بالقول والتوجيه ، والترغيب والترهيب ، أما صاحب البيت على أولاده والهيئة في نظامها حسب طاقتها ، وكذلك الأمير ، فلهم الإنكار بالفعل أما أفراد الناس فعليهم الإنكار بالقول لأنه لا يستطيع الإنكار بالفعل ، حتى لا تعظم المصيبة ويعظم الشر .

● بعضهم يقول : إن الحاكم يرضى بهذه الاعتصامات والمظاهرات ويستدلون بذلك على جوازها؟

■ الشيخ ابن باز : المظاهرات كما ذكرت شرها أكثر .

● هناك فتوى لشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ يستدل به أصحاب التكفير هؤلاء على أن الشيخ لا يفرق بين من حكم بغير شرع الله عز وجل مستحلاً ومن ليس كذلك ، كما هو التفريق المعروف عند العلماء؟

■ الشيخ ابن باز : هذا الأمر مستقر عند العلماء ، كما قدمت أن من استحل ذلك فقد كفر ، أما من لم يستحل ذلك كأن يحكم بالرشوة ونحوها فهذا كفر دون كفر . أما إذا قامت دولة

إسلامية لديها القدرة فعليها أن تجاهد من لا يحكم بما أنزل الله حتى تلزمه بذلك .

● هم يستدلون بفتوى الشيخ ابن إبراهيم؟؟

■ الشيخ ابن باز : محمد بن إبراهيم ليس بمعصوم فهو عالم من العلماء ، يخطىء ويصيب وليس بنبي ولا رسول ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ، وغيرهم من العلماء كلهم يخطىء ويصيب ، ويؤخذ من قولهم ما وافق الحق ، وما خالف الحق يردّ على فاعله .

● ما هو السبيل لتغيير الواقع الأليم الذى تعيشه الأمة اليوم ، وما هو المخرج وقد تعددت السبل؟

■ الشيخ ابن باز : السبيل يكون بالتواصي بالحق والتنافس ، حتى يقيم الله عز وجل دولة إسلامية تقيم الحدود وتطبق شرع الله ، أما إذا لم تقم الدولة فيجب التواصي بين الإخوان في الكويت وفي أوروبا ، وفي أمريكا وفي مصر ، وفي كل مكان ، التواصي والتعاون على البر والتقوى وإرشاد الناس مثل ما كان النبي في مكة فهو لم يضرب أحداً ، إنما النصيحة بنشر الهداية ، وهكذا أول ما هاجر حيث ابتدأ بالدعوة والتعليم .

● انتشر في بلاد المسلمين وللأسف القتل العشوائي ممن يُنسب إلى الدين وإلى الجماعات الإسلامية!!

■ الشيخ ابن باز : تقدم الجواب على هذا فهذا لا يجوز ، وهو منكر فأخذ الناس بالقتل هكذا! هذا خطأ فادح ، فالواجب النصيحة والتوجيه إلى الخير بالكلام والقول والسيرة الحميدة كما فعل النبي ﷺ في مكة ، وكما فعل الصحابة ، ومثلما فعلوا في الحبشة عند النجاشي .

● كثير من الدعاة إلى الله يهتمون بتربية الناس وينسون أنفسهم وينسون تربية أبناءهم وزوجاتهم فما نصيحتكم لهؤلاء؟

■ الشيخ ابن باز : نصيحتي لهم أن يتقوا الله ويبدأوا بأنفسهم وأهل بيتهم وأبنائهم ، فيكونوا قدوة في الخير بأعمالهم ، وهكذا يجتهدون في إصلاح أولادهم وأهل بيوتهم ، فلا يبدأ بالناس وينسى نفسه .

● تواجه الدعوة السلفية تحديات كبيرة من قبل الفرق الضالة وأصحاب المقالات المنحرفة عن الكتاب والسنة والسلف ، فما موقفنا من هذه الفرق؟

■ الشيخ ابن باز : لا بد أن يحصل ذلك ، فما يحصل اليوم حصل من قبل ، فلا بد من عداء أهل البدع من قديم الزمان ، من عهد الصحابة . المسلمون ابتلوا بالخوارج وبالروافض فلا بد من الصبر والدعوة إلى الله . . . لا بد من بيان البدع والتحذير منها ، وبيان السنة والدعوة إليها ، وليس هذا بجديد ، والواجب كما فعل النبي بالنصح والتوجيه فقد رفع السلاح في عهد عثمان فجرى ما جرى . . قُتل عثمان وقُتل علي . . وقُتل طلحة . . . وقُتل جمع كبير من الصحابة؟

فيجب الدعوة ، والعناية بالصبر والتوجيه إلى الخير وأن يكون المرء قدوة لغيره وألا تحمله الغيرة على فعل ما لا ينبغي من قتل أو ضرب بغير حجة وبغير طريق مستقيم لأن ذلك مدعاة للفتنة والشرور والقتل العشوائي وتضييع الدعوة .

● هل يحذر من أصحاب البدع؟

■ الشيخ ابن باز : نعم يحذّر منهم ، من الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم ، والتحذير منهم والدعوة إلى السنة ، ولكن يجب أن تتخذ الأسباب التي تنفع ولا تضر ، كما قال سبحانه في كتابه الكريم ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال جلّ وعلا : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وقال جلّ وعلا لموسى وهارون لما بعثهم لفرعون : ﴿وَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ هذه سبيل الدعوة في الضعف ، وقال ﷺ : «عليكم بالرفق ؛ فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه» . ولا حول ولا قوة إلا بالله .■

التحرير

تحذير وبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الجَهْرَ بالسُّوْءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾

الحمدُ لله حقّ حمدِهِ ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّهِ وعبدِهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وجُندِهِ .

أمّا بعد :

فلقد اطّلعنا منذ نحو عام ـ مضى ـ على فتوى (اللجنة الدائمة لِلبحوث العلمية والإفتاء ـ هيئة كبار العلماء) ـ في المملكة العربية السعودية ـ جفظهم الله ـ حول سؤال ورد إليهم عن بعض ما حواه كتاب «إحكام التقرير بأحكام التكفير» ـ للمدعو مراد شكري ـ من آراء؟

ولقد كانت إجابتهم ـ سدّدهم اللهُ ـ فصلاً في مسألة مقررة في منهج السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ واعتقادِهم ؛ وهي عين ما نَدينُ الله به ، وندعو إليه ـ بتوفيق الله ـ منذ نحوِ ربع قرنٍ ، وهذا ـ نفسُهُ ـ ما تعلّمناه من فضيلةِ شيخنا أبي عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ونفع به ـ في مجالسه ومؤلفاته .

مع أننا ـ وذلك الفضل من الله ـ كُنّا قد حذّرنا من الغلط الذي وقع في الكتاب ، وما انحرف به صاحبه ـ فيه ـ عن الصواب قبل صدور الفتوى ـ بحمدِ اللهِ ومنّته ـ بنحو سنتين .

ولما كان الكتاب غير منتشر ولا معروف عندنا ـ في الأردن ـ لم تكن الحاجة قائمة ـ قبلُ ـ لكتابة شيء فيه أو في مؤلفه ، حيث لم يكن يُظهر انحرافَه ذلك أو يدعو إليه .

وممّا يجب علينا بيانه وإيضاحه : أنه ورد في طيّات السؤال جملةٌ لم يتعقَّبها أو يردَّ عليها علماؤنا الأفاضل ـ أكرمهم الله بتقواه ـ ، ألا وهي نسبة هذه العقيدة (الباطلة) لعامة السلفيين في الأردن!! ظنا من السائل ـ أو تنبأً ـ أن صاحب

الكتاب منهم ، أو أنه يُعرب عنهم . . . ولكن ؛ ما كلّ الظنون على القياس!!

وقد طار بتلك النسبة (الباطلة) ـ المشار إليها من قِبَل ذاك (السائل) ـ (أقوام) من الحاقدين فألصقوا ذلك ـ بغياً وزوراً ـ بالقائمين على مجلة «الأصالة» المعروفة بمنهجها واستقامتها اتباعاً واعتقاداً ؛ وهي ممّا يخالفُ ذلك كلّه بَراءٌ .

وعليه فنقول : لقد عرف السلفيّون في الأردن حقيقة (مراد شكري) ـ ومنهجه وآراءه وسلوكيّاته ـ منذ بضع سنوات خلت ، وظهروا على ما يدّعيه ويتقوّله ، وكانوا ـ دائماً ـ يترفقون به نصحاً وإشفاقاً وإرشاداً للّتي هي أحسن بالتي هي أقوم ، وأملاً في أن يتوب من منكره وضلاله ، ويؤوب إلى الحق وبُرهانه ، وكل ذلك ـ كان ـ بمشورة بعض من أهل العلم الحريصين على المنهج السلفي ، والغيورين على دعاته .

واستمررنا على ذلك ـ مع تواصل التشجيع ! والتقديم!! والتعريف!! ـ إلى أن تفاقم الأمر ، واتّسع الخَرقُ على الراقع ، وغلب على ظنّ جملة طلاب العلم أن هذا الرجل قد عطم شرّه ، واستطار شرره ، واستفحل خطره ، حتى إنه غرّر بعدد من الناشئة (البُسَطاء) ، فظنّوا أنّه من دعاة السلفية ، لتظاهره بذلك ، ولكنّه ـ حقيقةً ـ ظاهرُهُ فيه الرحمة وباطنُه من قِبله العذاب ، مخالفةٌ منه للحقّ ، ومُكابرةً للصواب .

ولقد كشفت «رسالةٌ مفتوحة إلى صديق قديم» ـ الصادرة قبل بضعة شهور ـ هذا المنحرف الدَّعي ، فأظهرت مكنونه ، وبدّدت ظنونه . . . ولم يكن منه ـ تُجاه ما فيها من الحُجّة والحق إلا الانكسار والسكوتُ ، أو التملُّص والتهرُّب ـ كلّ على حسَبِه ـ!

ومن قرأ هذه (الرسالة) بإنصاف تأكّد له ـ يقيناً كم هو مبطلٌ ومتطاولٌ . . . بل مدّع وكاذب!

ثمّ إن سكوتنا عنه هذه المدة الطويلةَ ـ كلّها ـ مع النصح الدائم ، والتذكير المستمر ؛ وهو يستعدُّ ـ ويُعلنُ في كل مرة ـ أنه سيرجع ويعترف بأخطائه وأباطيله الماضية ، ويقرُّ بما كان فيها ـ منه وفيه ـ : لم يكن سكوت جهلٍ بحقيقته وطريقته ، وإنما ـ والله ـ إشفاقاً عليه ، وحرصاً على هدايته ، ورغبةً في أوبته وعودته . . .

ولكنّ الأيام ـ وللأسف ـ أثبتت ـ بما لا مجال للشكّ ، أو الريب ، أو (الانتظار)ـ

أنه ماضٍ في غيّه العظيم ، ومستمرٌ في ضلاله القديم ، على الرغم من كثرة وعوده أنه سيتوب ، فلم يرعوِ ولم يرتدع ، بل ازداد سوءاً على سوئه ، وباطلاً على باطله ، ومنكراً على منكر ، ـ ظاناً أنّ سكوتنا عنه عجزاً وتساهُلنا معه ضَعْفٌ ـ وهو لا يزال إلى الآن ـ عياذاً بالله ـ ، متدرّعاً بثوب العلم والسلفية ، مغرياً بعض (البسطاء) المغرورين بما (يجتهد) به من إظهار معسول كلامه . وبما (يجهد) فيه من تهذيب منطقه وبيانه ، وهو عن الحق بمعزل ، ومكانُه بأقصى منزل .

ولكنّ أولئك (البسطاء) إن كان عندهم قاعدةٌ من خشية أو دين ، أو بقية من ورع أو يقين ـ وهذا ما نظنُّه فيهم ، ونرجوه لهم ـ إن شاء الله ربُّ العالمين ـ ؛ فإنهم سيعلمون ـ ولو بعد حين ـ ما علمنا ، ويوقنون ـ لو صدقوا مع أنفسهم ، وراقبوا ربَّهم ـ بما أيقنّا ، لأن مجالس ذاك المنحرف المدّعي يُزكم فسادُ أنوفَ الصالحين ، ويُفسد دَخَنها قلوب المخلصين ، ولا يصبرُ عليها إلا قليلو العلم والدين ؛ وذلك لما تحتويه ـ حتى هذه الساعة ـ من :

أولاً : انحراف في المنهج وزيغ في الاعتقاد ، حيث لا يزال مصراً على رأيه الذي انتقده علماؤنا ، مما وافق فيه مذهب المرجِئة الرّديّة ، على الرغم من وعده بالتراجع والتصحيح(!) ، لكنه نكث ونكصَ(!!) ، حتى إنه (يرى) ـ الآن ـ عدم تكفير بعض مَن عُلم كفرهم بالضرورة من دين الإسلام ، كبعضِ الفرق الباطنية .

ثانياً : طعنُه في علمائنا ومشايخنا ، ورميه إياهم بالعُجمة ، وبلادة الذهن ، وركّة العلم ، وعدمُ تواصُله معهم ، أو اعترافه بهم فهو لا يُقيمُ لهم وزناً ، ولا يرفعُ لهم رَأساً . . .

ثالثاً : الطعن في الأنساب ؛ الذي هو من فِعال الكفر ، وخصال الجاهلية ؛ فقلّ أحدٌ من أهل العلم أو طُلاّبه إلا وعنده وَصْفٌ جاهزٌ له ، وطعنٌ حاضرٌ به . . .

رابعاً : النميمة والغيبة ، والرجم بالغيب ؛ دون أدنى بينة أو أقل دليل ، بل يأخذ بالريبة ، ويبني على مَحْض الظنون ، بلا تقوى ولا خشية . . .

خامساً : تواصله وتعاونه مع بعض خصوم الدعوة السلفية في الداخل والخارج ، والكيد لدعاتها ، والتنكر لحملتها ؛ بالكذب الفاشل ، والتربُّص

الباطل . . .

سادساً : تأليبه بعض سفهاء الأحلام على طلاب العلم ، وطعنه بهم ؛ حتى إنه نفّر عدداً من الراغبين بالخير عن العلم وطلبه . وحضور مجالسه ؛ وذلك تحت طائلة رميه طلبةَ العلم ـ زوراً ـ بتُهم شتى ؛ منها : الانتحال والسرقة(!!) ، وإشاعته لذلك كله ؛ ، برقّة دين ، وخواء يقين . . .

سابعاً : نقضه لوعوده وعهوده بالتوبة والرجوع ، وعدم الوقوع في الكذب والغيبة ونَهش الأعراض وذلك في مجالس متعدّدة ؛ أولها أمامنا في بيت الأخ علي الحلبي ، وآخرها ما كانَ في بيت الشيخ أحمد السالك ـ حفظه الله ـ قبل عدّة شهور ، ومجموع ما بين ذلك سبع مرات في بضع سنوات!!

وغير ذلك مما (قد) لا يتّسع المقام لذكره ونشره (الآن) .

فإننا ـ بعد هذا كله ـ نُشهد اللهَ العظيمَ ، ثم الصادقين من عباده : أننا بُراء مِن هذا المنحرف الكذوب ؛ في تسيّبه ، وتهاونه ، وكذبه ، وطعنه ، وفسادِ منهجه ، وانحرافِ معتقده . . . إلى أن يتوبَ ، ويتراجع ، مُعْلِناً ذلك ـ بما لا تلبيسَ فيه أو خداع ـ على الملأ ، بوضوح وظهور .

(مذكِّرين) له ـ ومن لا يزال مغترّاً به ـ بما قاله صُلَحاءُ العلماء الصادقين : «من كذب في حديث الناس لا يؤتمن على دين» ، و : «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم» ، و« من تتبّع رخصة كلّ عالم اجتمعَ فيه الشرُّ كلُّه» ؛ فإن هذا (المدّعي) ـ بتسيُّبه ، وتهاونه ، وكذبه ، وباطله ، وتتبُّعه الرُّخص ـ يكاد يكونُ أولى مَن تنطبق عليه هذه الآثار ، وأوّل من تتلبّس به هذه الأخبار ، فاتّقوا الله معاشرَ المُخلصين الأخيار . . .

(مُبيّنين) لأولئك الإخوة (البُسطاء) الذين لبّس عليهم هذا المدّعي المخادع ، وأوهمهم ، وغَرّر بهم أن موقفنا منه خلافٌ شخصيّ (!) ؛ فنقول : لو كانَ الأمر كما كذب ـ وظننتم ـ فما صبرنا سنوات عدداً ـ عليه ـ ؛ لم نَفْتُرْ خلالها عن النصح والتذكير ، والترفُّق به ، لعلّ ولعلّ . . .

(مُطمئنين) مَن كان في ريب مما ذكرنا : أننا قادرون ـ بحمد الله ـ على إقامة عشرات الأدلة ـ والشواهد والشهود ـ على ما ورد في كلامنا ـ من قبلُ ومن بعدُ ـ في حقّ هذا المدّعي المتستّر بهذه الدعوة السلفية المباركة ، ولو أن المقام

احتاج - ولو بعد حين - إلى تفصيل وتبيين : فسيكون ذلك منا بيقين .

(مبشّرين) إخواننا - في كل مكان - أن هذه الكلمات هي بداية مشوار - اضطُررنا إليه - في بيان وكشف أحوال كل دعيٍّ يتمترس خلف الدعوة السلفية ، وهو - حقيقة - يكيد لها ولعلمائها ، ويمكر بِحَمَلَتِها ودعاتها ؛ من طرفٍ خفيٍّ - حيناً - وظاهرٍ جليٍّ - أحياناً - . . .

وختاماً ؛ لا تعجبوا - إخواننا - من موقفنا الواضحِ الظاهرِ مِن هذا الدّعيّ المنكرِ - ومن هو على شاكلته من الأصاغر! فإنما هو انعكاس (واثقٌ) لِمَا يتقيؤونه من فَرْي وبهتان ؛ إذ البهتان على البرىء أثقل من السماوات»[1] ، والحقُّ لأهله «أوسع من الأرض»[1] ، ولصاحبِه - به - مقالٌ بل مقالات .

﴿وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون . . .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين ، ولا عدوانَ إلا على الظالمين ﴿وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَ﴾ . . .

الحواشي :

(١) «المجالسة» (٢٧٨٥) للدينوَري .

التحرير

العاقبة للمتقين

العاقبة للمتَّقين ، في النُّصرة ، والبقاء ، والذِّكر الحسن ، لأن (الحق) أصيل ، و(الباطل) دخيل ، ولأنه ـ كما ورد في بعض الآثار السلفية ـ «الحق ثقيل مريء ، والباطل خفيف وبيء» ، وإنْ ظهر الباطل كالكذب ، والنفاق ، والغش ، والتدليس ، وتحميل الهفوات ما لا تحتمل ، والتَّصيُّد ، والتَّربُّص ، وتتبع العورات والعثرات .

فإن مآل أصحابه إلى (خسران) و(تباب) ، وإنْ أظهروا (التباكي) على (حق) مزعوم!! وإنْ ظهر لهم (تشنيف) أسماع ، و(إصغاء) أذان!!

فإن من سنّة الله ـ عز وجل ـ التي لا تتغيّر ولا تتبدّل : (وضع ما ارتفع من الدنيا) خلافاً لما عليه المتقون المخلصون ـ فما (كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره ـ سبحانه ـ انقطع وانفصل)ـ فإن العاقبة لهم ، قال تعالى : ﴿والعَاقِبَةُ للمُتَّقينَ﴾ ـ ، قال أهل التفسير[1] :

«﴿والعاقبة﴾ : أي : الحالة الأخيرة التي تعقب جميع الحالات لهم ، في الدنيا والآخرة ، هذا أصلٌ ، وأظهر تعميماً وإعلاماً بالوصف الذي أثمر لهم ذلك ، فقال تعالى : ﴿للمتقين﴾ : أي دائماً في كلا الدارين ، لهم لا عليهم ، فمن اللام يعرف أنها محمودة» .

وقالوا : «ومن هذه الآية يُعْرَف أهل الآخرة من أهل الدنيا ، فمن كان زاهداً في الأولى مجتهداً في الصلاح ، وكان ممتحناً في أول أحواله مظفّراً في مآله ، فهو من أبناء الآخرة ، وإلا فهو من أبناء الدنيا» ويقر عمل هذه السنة الكونية ما ورد في السنة النبوية :

أخرج البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٣ رقم ٢٨٧) ـ مع «الفتح» عن أنس بن مالك قال : كانت (العَضْباء) ـ اسم إبل كانت للنبي ﷺ ـ لا تُسْبَق ، فجاء أعرابيّ على قَعُودٍ له ، فسابقها ، فسبَقَها الأعرابي ، وكأنّ ذلك شقّ على أصحاب رسول الله ﷺ فقال : «حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيءٌ إلا وضعه» .

وفي «صحيحه» (رقم ٦٥٠١) أيضاً عن حميد عن أنس بهذه القصة ، وقال : «إنّ حقاً على الله عز وجل أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه» .

قلت[٢] : تأمّل قوله في اللفظ الأول : «أن لا يرتفع شيءٌ» وفي اللفظ الثاني «أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه» ، فجعل (الواضع) ، لما (رفع) و(ارتفع) ، لا لما رفعه (سبحانه) ، فإنه (سبحانه) إذا (رفع) عبده (بطاعته) ، وأعزّه بها ، لا (يضعه) أبداً .

الحواشي :

(١) المذكور من «نظم الدرر» (١٤/ ٣٧٢ - ٣٧٣) بتصرف يسير .

(٢) القائل ابن القيم في كتابه «الفروسية» (ص ٩١) .